



## مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

الميدان : لغة و أدب عربي .  
الفرع: دراسات أدبية .  
التخصص: أدب عربي حديث و معاصر.

### عنوان المذكرة

هموم الذات والآخر في "رواية رجل في الخمسين" لحميد عبد القادر.

إشراف الأستاذ (ة):

أ.د. راوية يحيايوي

إعداد الطالب (ة) :

- حسين تعقيلت  
- مليك بشير

### لجنة المناقشة

رئيسا	أستاذة (ة) محاضر (أ)	د/ تسعديث قوراري
مشرفا	أستاذة التعليم العالي	أ.د/ راوية يحيايوي
ممتحنا	أستاذة (ة) محاضر (أ)	د/ حسينة فلاح

# الإهداء

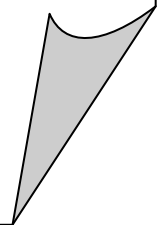
إلى من شجعتنا على المثابرة طوال عمرنا، إلى من بها نعلو، وعليها نرتكز، إلى القلب المعطاء (والدتنا الحبيبة).

إلى الذين بذلوا جهدا في مساعدتنا وكانو خير سند (إخوتنا، وأصدقائنا، وزملائنا).

إلى كل هؤلاء: نهدي هذه المذكرة

حسين و مليك

# المقدمة



إنّ الرواية واحدة من أبرز الأجناس الأدبية التي تصدرت مكانة مرموقة في العصر الرّاهن، واستطاعت أن تغزو السّاحة الإبداعية في العالم العربي بل أصبحت أكثر الأجناس انتشاراً، مما سمح لها بمزاحمة الشّعر الذي ظلّ مهيمناً على السّاحة الإبداعية العربية لقرون طويلة من الزّمن، وانطلق الرّوائيون العرب من المستوى المحلّي والعربي ليصلوا إلى العالمية بفضل إبداعهم المتواصل وخوضهم التّجريب السّردّي، ووقفوا عند الفكر التّخييلي بطرحهم لأحداث عصرهم، وأصبحوا يعالجون الواقع الاجتماعي للإنسان من خلال الأفكار التي يطرحونها في أعمالهم الأدبية ويدفعون أبناء بلدهم إلى الوقوف في وجه من يسلب حقوقهم، وبهذا أصبح العمل الرّوائي يحمل في طيّاته قضايا حقيقية فهو ليس عملاً يبعث للتسلية.

ومن أشهر الأعمال الرّوائية المكتوبة بالعربية التي حقّقت نجاحاً كبيراً نذكر: **موسم الهجرة إلى الشمال** للكاتب الطيب صالح، رواية **رجال في الشّمس** للكاتب غسان كنفاني، رواية **عزازيل** ليويسف زيدان، **الثلاثية** لنجيب محفوظ، **مدن الملح** للكاتب عبد الرحمن منيف إلخ...

ولعلّ أهمّ ما يميّز الرواية إتصالها بالأحداث والظّروف المحيطة بالواقع التي كُتبت فيها، لذلك نجد أنّ لكل فترة زمنية سمات طبعت الأعمال الإبداعية التي كتبت فيها، وبما أننا في الفترة المعاصرة فإنّ الروايات المكتوبة من قبل أدبائنا العرب ستعكس عليها الأفكار السّائدة في المرحلة المعاصرة، فالأدب انتقل من مرحلة الحداثة إلى مرحلة ما بعد الحداثة وهي مرحلة جديدة جعلت الأدباء يسعون لتطوير أساليب جديدة للكتابة، والتّطرّق إلى معالجة مواضيع جديدة المحظور منها كالجنس والدين والسياسة وتفكيك المركّبات بمختلف أنواعها، والدّفاع عن المهمّشين... حيث ارتبطت الرواية العربية المعاصرة بطرح فكرة العدم وظاهرة الحرمان وظاهرة العنف المتفاقم في الكيان الثقافي والاجتماعي والسياسي، واستجابت الرواية العربية بطبيعة الحال لهذه المتغيّرات، واتّجهت إلى تشخيص الواقع العربي المليء بالألم والأسى.

وعرفت الرواية الجزائرية تحولاً مهمّاً في تيماتنا وعوالمها السّردية وجمالياتها، وشهدت سيرورة إبداعية قدّمت أفلاماً مهمّة للسّرد العربي المعاصر، وعبرت من حالة الحداثة إلى ما بعد الحداثة، وغامرت في التّجريب الإبداعي، لذا يمكننا الآن أن نتحدّث عن التّراكم عند التّجارب السّردية الروائية الجزائرية التي شكّلت اتّجاهات في السّرد الرّوائي العربي.

ويعدّ الروائي **حميد عبد القادر** من الرّوائيين الجزائريين الذين خاضوا بمخيلتهم في العوالم السّردية، وقدّموا المحكي السّردّي الخاص، وألهمنا من خلال أعماله الإبداعية التي

تعالج كلّ المسائل التي ذكرناها سابقاً، حيث يعد من الأدباء القلائل الذين كرّسوا كتاباتهم في الدفاع عن الفئات المقهورة في المجتمع وفكّكوا خطابات السلطة، وأعادوا الحفر في التاريخ المنسي، وقدموا تفسيراً مختلفاً للتاريخ الرسمي، وعالجوا مختلف الهموم المتعلقة بالذات والآخر، و من بين أعماله الروائية التي أثارت إعجابنا كثيراً روايته المعنونة بـ " رجل في الخمسين" التي صدرت عام 2019، والتي قمنا باختيارها كنموذج لدراسة موضوع بحثنا المتعلق بالهموم المتعلقة بالذات والآخر، فصغنا العنوان كالاتي : هموم الذات و الآخر في رواية رجل في الخمسين .

لقد حاولنا من خلال هذه المذكرة دراسة مختلف الهموم المتعلقة بالذات والآخر التي طرحها الروائي، فقد عرض المحكي السرد في هذه الرواية مختلف القضايا الخاصة بهموم الذات كما تناول الهموم الشائكة عند الآخر، لذا طرحت إشكالية مذكرتنا السؤال الآتي :

ما هي هموم الذات و قضايا الآخر المتشكّلة داخل المحكي السرد للرواية ؟  
و يتفرّع عن هذا السؤال المركزي سؤالان مهمّان :

1) كيف يتشكل هم الكتابة و الهوية وغيرها في محكي الرواية؟.

2) ما هي الأنساق الثقافية للغيرية التي يمكننا تفكيكها داخل بنية الرواية؟

وحاولنا خلال كل هذه المذكرة أن نجيب عن هذه الأسئلة خاصة وأن الأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع هي :

الدافع الموضوعي المتمثل في رغبتنا دراسة أعمال حميد عبد القادر لأنها من صلب طروحات الرواية الجزائرية، و تعالج قضايا مهمّة تخصّ الإنسان الجزائري ككيان، والإنسان العربي بصفة عامة، بفكرها المركّب و وعيها المتعدّد .

أما الدافع الثاني: - فهو ذاتي يتمثل في طبيعة الموضوع الذي استهوانا مما أتاح لنا فرصة النباش في تيماته، كما أنّ هذه الرواية جديدة، لا نعثر على دراسات سابقة حاولت معالجة موضوع هذه الرواية التي طرحت مواضيع عديدة متعلقة بالذات والآخر سواء كانت متعلقة بالكتابة أو الهوية، أو مرتبطة بالمجتمع، والسياسة، والايديولوجيا... وغيرها من الإشكالات التي يطرحها السارد في محكيه الروائي.

وعندما رأينا أن موضوع هذه الرواية لا تتسنى لنا دراسته إلا بالاستناد إلى الدراسات الثقافية التي تساعدنا في النباش داخل الرواية ومعرفة مختلف الأنساق المضمره سواء الظاهرة منها أو الخفية، وبالتالي الكشف عما هو مضمر وغير مفكر فيه، لكون كتاب ما بعد الحداثة يتجهون إلى معالجة مواضيع كانت لسنوات مهمشة وتم إبعادها تماما من الساحة الأدبية، وبالتالي تهدف الرواية المعاصرة إلى قول ما لا يقال، فاستندنا إلى النقد الثقافي الذي يدرس أهم الظواهر الثقافية التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب، وقد جاء كرد فعل على البنيوية اللسانية، والسميائيات، والنظرية الجمالية والتي تعنى بالأدب باعتباره ظاهرة لسانية شكلية من جهة، أو ظاهرة فنية وجمالية من جهة أخرى، ويهدف النقد الثقافي إلى بناء بديل منهجي يطرح أسئلته الجديدة و تجدر الإشارة إلى أن مذكرتنا تعتبر الأولى حسب علمنا التي خصصت دراسة كاملة لرواية رجل في الخمسين، خاصة أنها دراسة استأنست ببعض مفاهيم التحليل الثقافي، و لم نعثر على دراسات سابقة لها، ورأينا خطة البحث المعتمدة تتشكل من مقدمة، وفصلان، وخاتمة البحث.

و طرحنا في الفصل الأول المعنون : **هموم الذات المسرودة في محكي الرواية**، أهم تلك الهموم المتعلقة بالذات، والتي عالجتها رواية رجل في الخمسين لحميد عبد القادر، فحاولنا ذكر أبرزها في ثلاثة مباحث، خصصنا المبحث الأول لدراسة هم الكتابة، وفيه تناولنا أهم الصعوبات والعراقيل التي تواجه كل من يرغب في خوض غمار تجربة الكتابة، وهل الكاتب ناطق للواقع الذي يعيش فيه، أما المبحث الثاني فقد ناقشنا فيه مسألة الهوية من خلال البحث عما إذا كانت الرواية قد تطرقت إلى قضية الصراع الهوياتي، وأزمة الهوية، وهل هوية الجزائري صافية أم مضطربة، وفي المبحث الثالث من هذا الفصل عالجنا الهموم الآتية: الهم الاجتماعي، السياسي، الإيديولوجي، بحيث جمعنا بين هذه القضايا الثلاثة في مبحث واحد نظرا للعلاقة الوطيدة بينها، وحاولنا في الفصل الثاني المعنون : **تفكيك الأنساق الثقافية للغيرية** معرفة كيف تشكل الغير أو الآخر كنسق ثقافي حاول السارد تفكيكه أو تقويضه، فعالجنا في المبحث الأول من الفصل الثاني الأنساق الثقافية المتعلقة بالمركزية مثل: السلطة والاستعمار والثورة، وفي المبحث الثاني تحدثنا عن تفكيك نسق هم التعايش خاصة مسألة التعايش بين الأديان المختلفة داخل وعي حوار الحضارات والتواصل بين الشعوب المختلفة في ظل العولمة، وفي المبحث الثالث والأخير والمعنون ب: **تفكيك نسق الأنوثة الغيرية**، عالجنا فيه صورة المرأة خاصة الغربية في البنية السردية للرواية من خلال البحث عن كيف ينظر السارد إلى المرأة وعلاقتها بالرجل.

ونشير إلى أننا إعتدنا في هذه المذكرة المتواضعة على مجموعة من المصادر والمراجع، نذكر أبرز المراجع التي استعنا بها في هذه المذكرة كتاب: "سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف" لمحمد بوعزة"، الذات والآخر في الخطاب السردى دراسة لأزمة الهوية في أعمال أمين معلوف السياسية والروائية كتاب الهويات القاتلة، و رواية التائهون أنموذجين، وهي أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه لحاتم زيدان، دون أن ننسى كتاب "صوت المهمّشين ورؤيا العالم في رواية دفاتر الورّاق لجلال برجس" للكاتب عبد الله محمد كامل عبد الغني، كما استفدنا كثيرا من المجلات العلمية التي تصدرها هيئة مخبر تحليل الخطاب في جامعة مولود معمري بتيزي وزو، وغيرها من المراجع الأخرى التي خدمت موضوع مذكرتنا. وبما أن طريق البحث تعترضه الصّعوبات والعراقيل يمكن أن نذكر جملة من الصّعوبات التي واجهتنا أثناء إعدادنا هذه المذكرة ومن أهمّها: ضيق الوقت الذي يعترض جمع المادّة وترتيبها، وتنسيقها، وإخراجها في شكل بحث مقبول، بالإضافة إلى تشعب الموضوع الذي يمسّ العديد من القضايا البالغة الأهميّة، مما صعب علينا مهمّة ضبط خطّة محكمة تناسب الموضوع الذي اخترنا دراسته.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نحمد الله حمداً كثيراً يليق بجلال وجهه في أن يسرّ علينا محطّات البحث وأكملنا هذه المذكرة، و أن نتقدّم بجزيل الشكر وأعمق امتنان للأستاذة المشرفة أ.د /راوية يحيياوي، كما نتقدّم بجزيل الشكر والعرفان للجنة التي ستناقش مذكرتنا بالتّوجيه والتّقويم والتّقييم.

و تبقى هذه المذكرة المتواضعة بداية لأسئلة معرفية مستقبلية، " فلكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان ... "

# الفصل الأول

هموم الذات المسرودة في محكي الرواية.

المبحث الأول: همّ الكتابة.

المبحث الثاني: همّ الهوية.

المبحث الثالث: همّ السياسي، الأيديولوجي، الإجتماعي.

سنحاول في هذا المبحث تتبع الهموم المتّصلة بالذات في رواية رجل في الخمسين، مستأنسين ببعض مفاهيم النقد الثقافي التي تتيح لنا معرفة كيف تشتغل الأنساق المضمرّة داخل هذا العمل الروائي. وما يهّمنا في هذه المذكرة هو النسق الثقافي والدور الذي يلعبه داخل المجتمع ويتسرّب إلى الأدب الذي يعد من أهم المجالات المعبّرة عن ثقافة الشعوب من خلال ما يحمله من مكنونات ثقافية فيتّصف النصّ بالغموض<sup>1</sup>. لذا وجب علينا قراءة المعاني المتوارية خلف الكلمات فلا شك أنّ الرواية ما بعد الحداثيّة تعوص عميقا في المنسي والمغيّب، بغية استنطاق المهّمّس والمغيّب والمخفي والمسكوت عنه وغير مفكر فيه، لذا سنحاول في هذا المبحث من الفصل الأول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

أولا: ماهي أبرز الهموم المتعلقة بالذات في الرواية؟.

ثانيا: كيف عبرت عنها الذات الساردة في هذا العمل الروائي؟.

تمثّل الكتابة وسيلة للتواصل البشري عبر اللّغة التي هي عبارة عن علامات ورموز معيّنة، وتعد أيضا أهم الوسائل التي تتيح للكاتب فرصة نقل آرائه وأفكاره إلى القارئ، وهناك تعريفات عديدة للكتابة منها ما نجده عند القلقشندي: "الكتابة تدل على العلم ومنه قوله تعالى: { أم عندهم الغيب فهم يكتبون } [الطور:41]. أي يعلمون"<sup>2</sup>.

كما أنّها عملية معقدة في ذاتها، و"هي كفاءة أو قدرة على تصور الأفكار وتصويرها في حروف وكلمات وتراكيب صحيحة نحواً، وفي أساليب متنوعة المدى والعمق والطلاقة، مع عرض تلك الأفكار والتراكيب التي تعرضها بشكل يدعو إلى مزيد من الضبط والتفكير"<sup>3</sup>، وفيما لا شكّ فيه أنّ لكلّ كاتب أهداف معيّنة وغايات دفعته إلى اختيار نهج الكتابة. لا يكتب الكاتب من العدم، بل له ارتباطات وخلفيات ثقافية، اجتماعية، سياسية، إيديولوجية فهناك من يكتب بقصدية إمتاع القارئ، وهناك من يكتب لقصدية توعية المتلقّي، وهناك كتاب آخرون ينظرون للكتابة على أنها مساحة خصبة تتيح لهم إمكانية تخطّي المحظور وقول ما لا يمكن قوله

<sup>1</sup> ينظر: بن عميرة زوينة: "نسق الأنا والآخر وتمثيلا ته في رواية "عزا زيل" ليوسف زيدان- أنموذجا، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، ط1، الجزائر، 2019، ص217.

<sup>2</sup> الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي: صحیح الأغشى، دار الكتب المصرية، الجزء الأول، القاهرة، 1966، ص51.

<sup>3</sup> حسني عبد البارى عصر: الإتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، الإسكندرية للكتاب، د ط، مصر، 2000، ص248.

وتجاوز مختلف العقبات والحواز التي تقيد الإنسان عن التعبير، خاصة الدول التي تمارس فيها السلطة القمع. فيلجأ الكاتب إلى مواجهة هذه العقبات عن طريق السرد الروائي، وهذا ما نجده مع "حميد عبد القادر" في أعماله الإبداعية خاصة رواية: "رجل في الخمسين".

من ابرز الهموم التي عالجها المحكي السردية: هم الكتابة والذي عبّر عنه السارد من خلال شخصياته، خاصة بطل الرواية المدعو "إبراهيم"، كان يحلم وهو ليزال شاباً في العشرين من عمره بأن يصبح كاتباً: "كان عمري عشرين عاماً تداعبني الحياة بخفة وسلاسة، ولا تشعرني بأي ثقل ولا ملل وأنا في جامعة <<السربون>> في ريعان الشباب، أدرس الأدب وطريقة العيش الأمريكية، وأحلم بأن أصبح كاتباً، وأحاول تعلم طريقة الكتابة الأدبية." <sup>1</sup> فنجد البطل يعبر عن الذات الحاملة والراغبة في تحقيق هدفها المتمثل في الكتابة، فإبراهيم رغم أنه لا يزال يدرس إلا أنه كان شغوفاً بالكتابة، ويستمتع بالحديث عن أشهر الكُتاب العالميين: "كنت أستمع للناس من حولي شباب جاء إلى باريس، وهو يحلم بالكتابة مثلي بعضهم يحدثني عن مارسيل بروست، وآخر عن دوستويفسكي وآخر عن غوستاف فلوبير...". <sup>2</sup> وهذا الحلم دفع البطل لخوض رحلة الذهاب إلى الكتابة، وقد ضحى بالكثير في سبيل ذلك، إذ كان عليه اتخاذ قرارات صعبة للغاية إيماناً منه "أن الكتابة هي تجربة وأن الالتزام بالنضال من أجل الحرية قضية تطمس جميع القضايا الأخرى". <sup>3</sup>

قرر بطل الرواية العودة إلى أرض الوطن الذي كان غارقاً آنذاك في الفوضى، وصراع شديد حول السلطة بين النظام الحاكم وجماعات متطرفة قرّرت حمل السلاح وأخذ الحكم بالقوة وترك حياته الباريسية وضحى بعشقه لأميرة أنوار. فالكاتب الحقيقي في نظر إبراهيم "تمثله تجربة الالتزام الأيديولوجي والسياسي والأحلام الطوباوية في التغيير الاجتماعي، في هذا المنعطف الحاسم من تكوين الشخصية والذي يتمثل في النضال السياسي والأيديولوجي، ينتج السرد صورة للذات سمتها الحماس، اليقين، تعكسها حالة انصهار الذات في الجماعة الأيديولوجية". <sup>4</sup>

ما نفهمه من خلال الأحداث السردية أنّ الكتابة لا تأتي من العدم بل مرتبطة بمحيط الكاتب وما يحيطه من أحداث ووقائع سياسية واجتماعية، وعلى الأديب أن يكون ملتزماً بقضايا المجتمع الذي ينتمي إليه، لذا لا يجب الاستغراب من قرار البطل المفاجئ بالعودة إلى وطنه الغارق في أوضاع صعبة.

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، منشورات البرزخ، د ط، الجزائر، 2019، ص11.

<sup>2</sup> نفس المصدر، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> نفس المصدر، ص13.

<sup>4</sup> محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، دار الأمان، الطبعة الأولى، الرباط، 2014،

ص 24.

أراد السارد من خلال محكيه السرد إخبارنا بأن الكتابة هي استنطاق للواقع، ولا يتسنى له ذلك إلا إذا مر بتجربة في الحياة تمكّنه من تجاوز عجزه، فوجد البطل يقول مخاطباً أميرة أنوار: "الكاتب بلا تجربة حياة يعيشها في خضم العاصفة لن يقدم شيئاً يستحق الذكر".<sup>1</sup>

لقد عمد السارد الإشارة إلى الصعوبات التي يواجهها كل من يرغب في الكتابة، من خلال الرجوع إلى مرحلة التسعينات أو العشريّة السوداء، فوجد "إبراهيم" قرر تغيير المجال الذي يعمل فيه لينتقل من القسم السياسي إلى القسم الثقافي في الجريدة التي يعمل فيها، نتيجة تراجع سقف الحريات في الوطن، حيث كان كل من يمارس مهنة الصحافة عرضة للتهديد أو القتل إما من قبل السلطة الحاكمة أو من قبل الجماعات المتطرفة. وهذا ما يظهر من خلال المحكي السرد على لسان إبراهيم: "سكنني مزيد من القلق والاضطراب والبلبلّة، جراء انتشار وضع مخيف راح يندّر بزئال كبير، كنت على يقين بأنه قادم كطوفان عظيم، سوف يجرف معه كل شيء فالحرية عندما يضيق مجالها يفجر الوضع حتما".<sup>2</sup>

لجأ السارد إلى العودة بالقارئ إلى إحدى الفترات الحساسة التي شاهدها الجزائر، وأقدم على تعرية الحقائق والكشف عن عدة أمور يجهلها الكثيرون، خاصة المتعلقة بموضوع الحريات كحرية التعبير (الكاتب يكتب رغبة في الحرية والتعبير) والإدلاء بالرأي. "وتلك هي المنزلة الاستمولوجية التي يصطنع التجريب الروائي اليوم بها ومن هنا لفهم لماذا الرواية الجزائرية اليوم تنجح في البحث ليس عن المضامين والجماليات الكبرى بل عن التفاصيل والمهمش والمسكوت عنه..."<sup>3</sup>.

يُصِرُّ الكاتب الحقيقي على الدفاع عن مبادئ الحرية والتحرر وكشف الأكاذيب المتعلقة بالتاريخ، حيث عمدت السلطة إلى كتابة تاريخ مزيف بعيدا كل البعد عن الحقيقة والواقع، وكُتِّب ما بعد الحداثة تفتنوا إلى هذا الأمر فقرروا اتّخاذ "السرد كاستراتيجية مضادة لمواجهة استراتيجيات الهيمنة والمركزية في سياق الاشتباك الاستمولوجي بين المركز والهامش بين السيد والتابع وبين السلطة وضحاياها حيث تستنهض هذه المواجهة ديناميات التخيل والقوة الذاكرة والرغبة، الماضي والحاضر، إما لدفع سرديات بديلة إلى الانبثاق، مثل سرديّة التحرر والخلّاص، أو تكريس سرديات قائمة لهيمنتها في مواجهة أي سرديّة منبثقة مهدّدة لسلطتها".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص13.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص22.

<sup>3</sup> أمانة بلعلي: "استنطاق الهامش وإعادة إنتاج التاريخ السياسي"، مجلة مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد 24، الجزائر، 2017، ص31.

<sup>4</sup> محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ص38.

تسمح لنا الدراسات الثقافية على فهم آليات اشتغال الرواية ما بعد حداثة التي تهدف إلى تعرية مضمرات المركزية، وكشف نسق السلطة وواقع المجتمع، باعتبار "النص حادثة ثقافية أي أنه وليد المجتمع الذي نشأ فيه والأديب يستمد مادته الفنية وصوره من الوسط الذي عايشه بكل حيثياته من عادات، أفكار، قيم، أعراف، تقاليد، وبالتالي لا يمكن عزل النص عن المعطى الثقافي الذي أنتجه".<sup>1</sup>

حمل المبدع على عاتقه هم الكتابة التي تعبر بدورها عن الهموم الكثيرة التي كانت نتاج سنوات عديدة من القمع والظلم، موظفا تقنية الاسترجاع أو (الFLASH باك) حيث يقوم البطل باستذكار مختلف الأحداث التي عاشها خلال فترات زمنية مختلفة كالتسعينات، السبعينات، سنوات الثورة التحريرية وما بعدها.

وسمح لنا النقد الثقافي أن نحفر في البنية العميقة لهذا النص من أجل الكشف عن ما هو مبطن والذي كان مخفياً خلف جمالية النص<sup>2</sup>، حيث يعرف أن ظاهر النص يختلف عما يحويه باطنه ولا مجال لمعرفة ذلك إلا من خلال الغوص في داخل النص ومحاولة فهم كيف تشغل مختلف الأنساق المضمرات والمرتبطة بهموم الذات، خاصة "هم الكتابة" الذي عبر عنه البطل إبراهيم بدءاً من حلمه في الكتابة، ثم انطلاقته نحو رحلة البحث عن الكتابة والصعوبات التي تواجه الكاتب الراغب في نقل الواقع.

يشدّ الصراع داخل محكي الرواية إلى غاية الوصول بالأحداث إلى درجة عالية من التأزم، حيث تؤدي الأوضاع العصبية بالبطل إلى اليأس، لأن المقاومة ليست أمراً سهلاً، ولم يكن يعتقد أن تحقيق حلم الكتابة سيكون شديد الصعوبة، لذا قرّر العودة إلى فرنسا: "أخذت قراراً حتى لا أموت ببطء، في زمن صار يصعب فيه مقاومة الشعور بالإحباط واليأس والقتل".<sup>3</sup> نفهم من خلال هذه الجملة السردية الصادرة عن البطل، أنه أدرك أن إعادة الاستقرار إلى البلد لن يكون بالأمر السهل، كيف لا والسارد استطاع من خلال المحكي السردى "أن ينقل لنا خطاب العشرية السوداء وتحدث عن مظاهر ذلك الصراع والمتمثل في القتل واختزل في كونه صراع بين الإسلاميين والنظام"<sup>4</sup>، فنلاحظ أن هذا العمل الروائي استطاع أن ينقل للقارئ صورة للوضع الذي مرت به الجزائر بسبب ظلم السلطة وتعطش المتطرفين للقتل، فكل من ينزاح عن خطاب السلطة أو خطاب الجماعات

1 سعاد بولحواش: "الأنساق الثقافية في رواية يوميات في بلاد القبائل لمولود فرعون"، منشورات مخبر تحليل الخطاب بجامعة مولود معمري بتيزي وزو، ط1، الجزائر، 2019، ص197.

2 ينظر المرجع نفسه، ص199.

3 حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص35.

4 ينظر أمانة بلعلى: "استنطاق الهامش وإعادة إنتاج التاريخ السياسي"، ص36.

المسلّحة سيئتهم بالخيانة، ويكون هدفاً مشروعاً ومصيره الإعدام، وهذا ما نجده في الرّسالة التي تلقّاها إبراهيم: "أيّها النّوراني الجديد ، حكمنا عليك بالقتل، ستنال جزاءك بإذن الله تعالى"<sup>1</sup>

نلاحظ أنّ هذه الرّسالة التي تلقّاها إبراهيم من شخص مجهول، تعد رسالة تهديد ووعيد بالمصير البائس الذي ينتظره، وقد وصف البطل "بالنّوراني" لكونه يحمل آراء وأفكار جديدة وتوجّهات تختلف عن النّسق السائد في تلك المرحلة، وهو ما يرفضه من أسماهم البطل بـ "الظلاميين"، وبالتالي الانزياح عن نسق هذه الجماعات أمر مرفوض وغير مقبول. وكانت الضّحية الأولى من هذا الصّراع هي الطّبقة المثقّفة من صحفيين، أدباء، فنانيين... فالعديد منهم قتلوا، ومنهم من قرّر الهجرة، والبعض الآخر قرّر البقاء إما لغاية المقاومة أو لغاية الخضوع للأمر الواقع والاستسلام، وقد عبّرت عن ذلك البنية الحوارية التي جمعت بين "إبراهيم" والكاتب "مصطفى حمدان": "رفع يده اليسرى: بهذه الرّواية أمشي في جبل الضّباب، دون أن يلحق بي أي أذى."<sup>2</sup> فبرّد عليه إبراهيم بغضب: "أفهم من كلامك أنّك تكتب كي لا تموت"<sup>3</sup>، فهذا الحوار ينقل الأبعاد الفلسفية لفعل الكتابة في أنّها تأجيل للموت وخلود.

أثار هذا الموقف غضب إبراهيم فالكاتب عليه أن ينقل الواقع كما هو، وليس الهروب عن مبادئ الكتابة، فالكاتب الحقيقي يقاوم من أجل أداء واجبه ولا يخضع للتهديدات ولا يجعل الكتابة وسيلة أو أداة للحماية من الأذى، فهذا الأمر يناقض ماهية الكاتب والكتابة. يتّضح لنا من خلال البنية الحوارية للرواية هويّة الكاتب الحقيقية وهو الشّخص الذي يكون مستعدّاً للتّضحية في سبيل الدّفاع عن الحقّ، فقدم لنا مثال عن ذلك حين استحضر سيرة الكاتب الشّهير "جان سيناك" الذي دفع ثمن مسانדתه لحرب الفيتنام ووقفه مع المساكين والفقراء، واتّخذه من الكتابة وسيلة للتّعبير عن الأهم. ولكن للأسف "تحيلنا هذه المحكيّات على نماذج دلالية وثقافية متعدّدة، تتحدّد اتّجاهاتها ومواقفها وعلاقتها بالنّسق المهيم، نسق السّلطة، بحسب قيمة موضوع الرّغبة، هناك من ارتضى الخضوع للنّسق،

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص36.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص49.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وتحوّل إلى مجرد دمية في نظام السلّطة، وهناك من قرّر انتهاك النّسق، بمعارضة السلّطة وفضح بنيتها القمعية... وهناك من اختار المنفى خارج الوطن".<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ص76.

تعرف الرواية على أنها جنس قائم على التخيل (أحداث متخيّلة) إلا أنه لا يمكن اعتبار السارد قدّم نصّاً بعيداً عن الواقع نظراً لكون الأحداث المتناولة في البنية السردية تعكس وضعاً وقع بالفعل في تاريخ البلد "فقد أعاد السارد ترتيب الواقع، بإعطاء تفسير آخر للتاريخ السياسي الجزائري وقام بتعريفه ليُعرّفنا عن إستراتيجية الهيمنة والإقصاء"<sup>1</sup> وكل ذلك من خلال الكتابة، وهذا أمر شائع عند كتّاب الألفية الثالثة الذين طوّروا أساليب الكتابة عندهم لتدلّ على دلالات واسعة على القارئ أن يتولّى مهمّة الكشف عنها.

كثيراً ما يعتمد كتّاب الرواية في رواياتهم على اللّغة الواصفة، كما هو الحال عند حميد عبد القادر فوصفها، وقدّم رؤيته بشأنها، وأسند إلى الخلفية التي توطّرت نظرته إلى العملية الإبداعية لأن "اللّغة الواصفة مجال أوسع لأنّها بالإضافة إلى اتّخاذها من اللّغة المعجمية مادة خامّة تلجأ إلى تحويرها وجعلها أكثر فاعلية بإضفاء مستعملها لمستته الخاصّة"<sup>2</sup>.

يعتمد الروائيون على هذه اللّغة من أجل التعبير عن أفكارهم وأهدافهم بشكل خفي، على القارئ تولّي مهمّة تشفير النصّ والكشف عما يحويه. وقد تعدّدت التعريفات المقدمة للّغة الواصفة، لذا سنحاول تقديم بعض أبرز تحدياتها لاستحالة إيجاد تعريف واحد وجامع لها: أولاً: تعريف رولان بارت الذي اعتبر الخطاب الواصف بأنّه "كل الكتابات التي يفصح فيها المؤلف عن مخططاته ومشاريعه، وكل انشغالاته المتعلقة بالكتاب الذي سيقوم بكتابته"<sup>3</sup>.

لذا تُعدّ اللّغة الواصفة من أهمّ الآليات التي ظهرت في مرحلة ما بعد الحداثة والتي يلجأ إليها العديد من الكتّاب في أعمالهم الإبداعية. وترى ليندا هتشون (Linda Hutcheon) أنّ الميتارواية تعبّر عن مستوى عالٍ من الوعي، والذي كان تنويجاً لمسار قطعه الرواية عبر تاريخها الطويل، وما هو جديد في الميتارواية "أنّ هذا الوعي أصبح قضية مركزية واختياراً جمالياً أملتته شروط سوسيوثقافية"<sup>4</sup>، وبالتالي نلاحظ أنّه حدث تغيير على مستوى الرواية بحيث أصبحت تحمل دلالات واسعة مرتبطة بالواقع، لكنّها لا تظهر مباشرة، فالسارد يعتمد استفزاز القارئ ودفعه إلى الغوص في تراكيب النصّ بحثاً عن تلك المعاني، كما يعمل على أن يساهم بلغته الواصفة في تقديم رؤيته اتجاه جنس الرواية.

<sup>1</sup> أمنة بلعلّ: "استنطاق الهامش وإعادة إنتاج التاريخ السياسي"، ص33.

<sup>2</sup> مكي محمد حسون: "اللغة الواصفة في رواية البحث عن وليد مسعود لجبرا إبراهيم جبرا، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 30، جامعة القادسية كلية التقنيات الإحيائية، جامعة بابل، 2016، ص358.

<sup>3</sup> حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012، ص17.

<sup>4</sup> حسن يوسف: المسرح والمرايا، نقلاً عن حسينة فلاح، ص33.

كما يقدم غريماس (GREIMA) تعريفاً آخر للغة الواصفة حيث اعتبرها " خارجة عن إطار اللغة"<sup>1</sup> وهناك إشكال متعلق بهذه اللغة، والذي يتمثل في عدم استقرار المصطلح فلا نجد النقاد والباحثين يتفقون حول مصطلح واحد جامع، فهناك من أطلق عليها مصطلح: ميتالغة، وميتاخيطاب، ميتارواية، ميتاسرد... ولكن حتى لو تعددت المصطلحات إلا أنها تشترك في كونها " استهداف للمروي له (المتلقي) استهدافاً مباشراً سعياً إلى صنع جديد قادر على تفجير الطاقة الخلاقية لدى المتلقي بدعوته للمشاركة في العرض والإبداع الفني باعتباره جزءاً منه"<sup>2</sup>، ولا يمكن عزل المتلقي وإبعاده عن النص، بل أصبح له دور مهم في استنطاقه وإعطاء معاني جديدة حول النص بفضل ذكائه وموسوعته المعرفية والفكرية.

يتمثل هم القارئ في البحث عن شظايا وبقايا نصوص عابرة " تسمح له بجبس نبض النص باحثاً عن ثغرات يتسلل منها إلى الداخل لتتبع انحرافات النص بالنقد والتقويم، لاجئاً إلى القراءة الواصفة"<sup>3</sup>، وبالتالي نلاحظ أنّ اللغة الواصفة تتطلب في المقابل قراءة واصفة حتى يتمكن المتلقي من تفكيك تراكيب النص وتفسيرها، فهي تسعى لتقديم رؤى الروائي كما ذهبت باتريشيا واو إلى أنّ ما وراء النص (ميتا سرد) المعاصر يسعى لتحقيق أهداف ما بعد الحداثة مثل كشف فوضى الوجود المعاصر، وفضح زيف الوهم المهيمن على الوعي البشري وتفضح عبثيته"<sup>4</sup>، وهذا ما نجده مع الروائي الذي سعى من خلال كتاباته إلى: - تعرية التاريخ المتعلق بالوطن من خلال كشف الحقائق التي تم إخفاؤها عمداً من قبل نظام الحكم

- نزع تلك القدسية التي فرضت على الثورة الجزائرية وجعلها موضوع يمكن مناقشته والحفر في باطنه، وتقديم الآراء بشأنه.

- استنطاق المهمّشين وإيصال أصواتهم، والتعبير عن قضاياهم عبر كتاباته.

- معالجة بعض القضايا التي تعد حساسة.

- إعادة رسم صورة جديدة للوطن من خلال التطرق إلى العديد من المراحل التي مر بها منذ العهود القديمة وصولاً إلى التسعينات.

- فضح أكاذيب النظام الحاكم والكشف عن ممارساته القمعية.

<sup>1</sup> راشد بن مالك: قاموس المصطلحات، نقلاً عن حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغامي، ص22

<sup>2</sup> أحمد عادل غازي محمود: "جماليات الميتا سرد في فنون ما بعد الحداثة"، بحوث في التربية الفنية والفنون،

المجلد(22)، العدد1، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، 2020، ص291.

<sup>3</sup> حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغامي، ص31.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص290.

كما نجد " استثمر الروائيون أرسدتهم الثقافية والعلمية والفنية لكثرة اضطلاعهم وترجمتهم للأدب العالمية"<sup>1</sup> وهذا ما يظهر في المحكي السردى الذي سخره السارد الذي له اضطلاع ومعرفة كبيرة بالأدب العالمية وهذا منجده عندما يذكر أسماء مشهورة للغربيين في عالم الكتابة أمثال: ألبير كامو، جان سيناك، وله اضطلاع ومعرفة أيضا بمختلف الفنون كالرسم وأعلامه: أوجين دولاكرو، بيكاسو، والموسيقى الكلاسيكية المعروفة، كما ذكر أسماء لممثلين حققوا شهرة عالمية: فيتور يودي سكاي ونيو مونفريجي... حيث عرف السارد كيف يحسن استغلال معارفه وثقافته الواسعة في عمله الإبداعي. فكانت ذخيرة روايته ثرية، وعلينا أن ننتبه إلى أن ثمة علاقة بين الوصف والسرد داخل الرواية وكأنهما يندمجان معا

وعندما نتأمل اللغة الواصفة كيف تندمج مع البنية السردية ندرك قدرة السارد على الجمع بين تفاصيل الأحداث والرؤية الخاصة بفن الرواية وبالكتابة بصفة عامة، وكما نتوصل إلى استيعاب السارد للعملية الإبداعية كذوق وكفن فينقل لنا رؤاه ككاتب إلى جانب المحكي السردى الذي يروي تفاصيل الرواية، ففي المقطع السردى الذي كان يروي طلب سيناك من والدته أن تكتب، قائلا لها: "أكتبى بقلبك ودمك، كل ما يخطر على بالك... أكتبى بشغف وهوى وتواضع. أكتبى لنفسك فقط..."<sup>2</sup>.

وهنا يمكننا أن نتصور منظور السارد إلى الكتابة ورؤيته أن الكتابة تكون بالقلب والدم، وهي شغف وتواضع إلى جانب إلحاح السارد ( إبراهيم) على أن الكتابة تجربة قبل كل شيء، في قوله: "الكاتب بلا تجربة يعيشها في خضم العاصفة لن يقدم شيئا يستحق الذكر"<sup>3</sup>.

تعد اللغة الواصفة آلية مهمة جدا عمد الكتاب إلى توظيفها لكوئها وسيلة مهمة تساهم في إقناع القارئ، كما تساعد في استفزازه ودفعه إلى البحث وتفسير ما هو موجود في النص، والإجابة عن العديد من الأسئلة التي تثير جدالا وتتميز بالحساسية خاصة ما تعلق بالسياسة، والدين، والإيدولوجيا، أو ما تعلق بتاريخ الجزائر بصفة عامة، والثورة بشكل خاص، اعتمد تقنية تعدد الأصوات، فكل شخصية داخل الرواية نجدها مستقلة تعبر عن حالتها وأفكارها، من خلال لجوئها إلى " الإستشهادات والإقتباسات ليدعم بها أرائه، ويثبت صحة الحجة

<sup>1</sup> مكي محمد حسون: "اللغة الواصفة في رواية البحث عن وليد لجبرا إبراهيم جيرا"، ص355.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص111.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص13.

التي يقوم عليها نقده"<sup>1</sup>. وهذا ما يجعل الأدب ذا قيمة ويتمتع بمكانة مهمة في نفوس المتلقين، الذين أصبح لهم دور كبير في خدمة الأدب من خلال القراءات التي يقدمونها، وبما أنّ الرواية تعالج هموم الذات فبطبيعة الحال لا نجد أحسن من اللغة الواصفة للتعبير عن هذه الذات وما يتّصل بها من هموم مختلفة.

<sup>1</sup> حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغني ، ص229.

تعد أزمة الهوية من أهم القضايا والمسائل الحرجة التي تعاني منها العديد من دول العالم، وقد أولت الرواية ما بعد حداثة عناية كبيرة وعالجت هذه المسألة إلى جانب قضايا أخرى كالدين، والجنس، والمهمشين، وسنحاول في هذا المبحث المعنون بـ "همّ الهوية" معرفة ما إذا استطاع الروائي حميد عبد القادر معالجة هذا الهمّ داخل روايته رجل في الخمسين، ونتساءل حول حقيقة وجود صراع هويّات في الجزائر؟، وماذا نعني بصراع الهويّات؟ وما هي الأسباب التي أدخلت الجزائر في هذه الأزمة؟، وهل هويّة الجزائري صافية؟.

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة المختلفة من خلال متابعتنا وتأويلنا لأحداث الرواية ونقوم باستخراج النماذج التي اعتمدها الروائي في عمله، كعينات تتمثل هذا الهمّ وأول ما نقوم به هو تحديد مفهوم الهوية لغة واصطلاحاً.

من خلال رجوعنا إلى معاجم اللغة العربية نجد أنّ الهوية لغة تدلّ على "الهوة البعيدة القعر"<sup>1</sup>. ويعرفها اليعقوبي بقوله " مصدر صناعي مشتقّ من كلمة هو للدلالة على أنّ الشيء هو "هو" وليس غيره أو أنّه لم يصر شيئاً آخر"<sup>2</sup>. ونذكر أيضاً ما ورد في معجم الرائد: " الحقيقة المطلقة في الأشياء والأحياء المشتملة على الحقائق والصفات الجوهرية"<sup>3</sup> والهويّة حسب معجم المنجد "ضمير للغائب المفرد المذكّر، ويقال للمثنى (هما) وجمع المذكّر (هم) ويقال للمؤنث المفرد (هي) وللجمع (هنّ)، والهويّة حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية"<sup>4</sup>.

أمّا اصطلاحاً فقد ذهبت ابتسام يوسف في مقالها بعنوان "مفهوم الهوية وأنواعها" أنّ هذا موضوع محاضرة أستاذ علم الاجتماع د-حميد الهاشمي في مؤسسة الحوار الإنساني في لندن، قدمه الكاتب المغربي إبراهيم الهادي الذي له دراسات في الهوية، قال القادري في مقدّمته: "مصطلح الهوية مأخوذ من الضمير هو. ومعناه الاتّحاد بالذات، ويشير مفهوم الهوية إلى الشيء من حيث تحقّقه في ذاته وتميّزه عن غيره، فهو وعاء الضمير الجمعي، بما يشمل من قيم وعادات تشكّل وعي الجماعة وإرادتها"<sup>5</sup>. وما يمكن أن نستنتج من كل هذه التعريفات المختلفة أنّ الهوية هي ما يشكّل جوهر الشيء وما يميّز الذات عن الآخر.

<sup>1</sup> أحمد رضا العامي: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، ج5، ص689.

<sup>2</sup> محمود يعقوبي: معجم الفلسفة، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1998، ص147.

<sup>3</sup> جبران مسعود: معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1992، ص247.

<sup>4</sup> لويس معلوف وآخرون: المجلد في اللغة والإعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19، 2000، مج1، ص875.

<sup>5</sup> ابتسام يوسف الطاهر: "مفهوم الهوية وأنواعها"، مؤسسة الحوار الإنساني، 23 يناير 2013، لندن، تاريخ الإطلاع:

تعمد السارد إثارة قضية الهوية وهو ما يظهر عندما نجده يستحضر أحداث تاريخية متعلّقة بالوطن، وكذلك تعمد الإشارة إلى الحضارات الغابرة التي مرّت على منطقة شمال إفريقيا بدأ بقصص الأمازيغ، وغزو الرومان، ثم الو نندال، كما تحدث عن الفتح الإسلامي، وتعمد الحديث عن المسائل التي تثير نوعاً من الحساسية إلى يومنا هذا كإشارته إلى نسب طارق ابن زياد، وحقيقة الوجود العثماني في الجزائر، وكيف غيّبت صورة الجزائري في فترة الاستعمار الفرنسي، موظفاً تقنية الاسترجاع أو الفلاش باك.

تكشف الأحداث السردية أنّ الهوية الجزائرية ليست صافية فالجزائر تنتمي لوطن الحضارات اختلطت فيها العديد من الشعوب، ومرت عليها حضارات مختلفة من أمازيغ، عرب، أتراك وأوروبيون، وكشف السارد كيف أنّ للايدولوجيا والسياسة دور كبير في افتعال أزمة حول الهوية وصراع هويّاتي يعاني منه أبناء الوطن إلى غاية اليوم.

رکز حميد عبد القادر كثيراً على الماضي وسبب ذلك " أنّ للزمن ارتباط بشخصيات العمل الأدبي وأحداثه ولغته أيضاً، وبخاصة في الأعمال السردية التي يكون فيها عنصر الزمن ركيزة أساسية ينبني عليها، إذ اتكأ الأديب في نصه على الزمن بوصفه بوابة شرعية للمسيرة الذاتية، وما تمتلكه من شرعية في استحضار الزمن الماضي ويحتاج الكاتب العودة إلى الماضي الخارجي في بعض المواقف في الافتتاحية، وكذلك في إعادة بعض الأحداث السابقة لتفسيرها تفسيراً جديداً<sup>1</sup>، فالسارد أراد جعل المتلقي على دراية وعلم بتاريخه، وتقريب ذهنه إلى ماضيه المتجذر في التاريخ، فلا يمكن معرفة هوية أيّ قوم دون أن يكونوا على علم بتاريخهم الذي ساهم في تشكيلها.

سخر السارد المحكي السردى لنقل التاريخ الفعلي للوطن وتصحيح الكثير من المغالطات التي جعلت تاريخ الشعب غامضاً، حيث استطاعت السلطة الحاكمة جعل شعبها جاهلاً بتاريخه لا يعلم شيئاً حول أصل هويّته وكيف تشكلت، ومن جهة أخرى " ركز أيضاً على تلك العناصر المشكّلة للهوية، والآليات التي تعمل على تحديدها، ومنها اللغة، والدين، والجنس، واللون والوطن، فكل هذه الانتماءات أسهمت في تحديد هويّتنا وانتماءاتنا<sup>2</sup>. وعلى الرغم من أنّ الكثير من الجزائريين يدركون حقيقة هذا التنوع الموجود في وطنهم إلا أنّ مسألة الهوية ما تزال تطرح إشكالات كثيرة، ووصل الأمر إلى حد النزاع والصراع لأسباب تكون في معظم الأحيان تافهة، ويقف وراءها جماعات عنصرية تهدف إلى نشر

<sup>1</sup> د. علاوة كوسة: "تجليات المضمّن التاريخي في الرواية العربية رواية "جهاد ناعم" لمحمد عيسى المؤدّب - أنموذجاً، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري بتيزي وز، ط1، الجزائر، 2019، ص86.

<sup>2</sup> حاتم زيدان: الذات والآخر في الخطاب السردى، دراسة لأزمة الهوية في أعمال أمين معلوف السياسية والروائية كتاب الهويّات القتالة ورواية التائهون أنموذجين، مخطوط أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، 2021، ص141.

الفوضى داخل الوطن وتقسيم وحدة الشعب، " وما يبعث على التخوف ما يحصل على مواقع التواصل الاجتماعي التي باتت ساحة لتبادل كلمات الكراهية والتعصب العرقي واللغوي بين أبناء الوطن الواحد، في شكل حرب باردة"<sup>1</sup>.

ازدادت التصريحات العنصرية في الجزائر حدة فنجد تصريحات تدعو إلى الكراهية والعنصرية لأسباب متعلقة باللّغة أو العرق والتي بدأت منذ الاستقلال، وهناك من أرجع هذا الصّراع إلى مرحلة الاستعمار، وهو ما أدى إلى اندلاع صراع هويّاتي والذي يعرفه الباحث كلورد دوبار في كتابه " أزمة الهويّات تفسير وتحول " فنجد يعرف مصطلح أزمة الهوية: "مرحلة صعبة تمر بها مجموعة اجتماعية أو يمرّ بها فرد وبصورة أدق يحيل هذا القول لكلمة أزمة إلى فكرة تصدّع التوازن من مكونات متباينة على شاكلة الأزمات الاقتصادية، يمكن النظر إلى أزمات الهوية بوصفها اضطرابات في علاقات مستقرّة نسبياً بين عناصر تهيكّل النشاط ( الإنتاج والاستهلاك والاستثمارات، والنتائج...) والنشاط المقصودة هنا هو المماثلة أي تصنيف الآخرين والذات"<sup>2</sup>. فإنّ أزمة الهوية هي تعصّب للهويّة، مما يؤدي إلى حد ارتكاب مجازر، وهو ما حدث في العديد من الدّول مثل الصّراع القائم في شمال السودان وجنوبه، أو المجازر المرتكبة بحق المسلمين الروهينغا في بورما، والصراع الطائفي في لبنان والعراق، أما في الجزائر يتمثّل العامل الأساسي في صراع الهوية في الجهل بالتّاريخ بسبب النّظام الذي طمس الحقيقة بأحداث لا صلة لها بحقيقة الوطن.

قدّم النّظام الحاكم بعد الاستقلال تاريخاً يقوم على الإقصاء والتّهميش، واختزلت الهوية الجزائرية في العروبة والإسلام، وحدث إقصاء متعمّد للمكوّن الأمازيغي، مما أدى إلى صراع بين المركز ( العروبة ) والهامش الذي تمثله ( الأمازيغية )، ونجد السّارد استطاع الإشارة إلى هذه المسألة من خلال البطل إبراهيم الذي قرّر الذهاب للمكتبة الوطنية للبحث عن الكتب التي تنطرق للتّاريخ القديم للجزائر: "مرحلة ما قبل الإسلام ... ملوك الأمازيغ ... رياس البحر ... العصر الوسيط كل المراحل المنسيّة والمغيبّة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> علي يحيى: " الحساسيات التي ارتفعت حدتها بين العرب والأمازيغ وهمية تغذيها فرنسا "، صحيفة أندين دنت عربية، الاثنين 18 نوفمبر 2019، 20:50.

<sup>2</sup> حاتم زيدان: الذات والآخر في الخطاب السردي، ص100.

<sup>3</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص84.

وصف إبراهيم هذه المراحل بأنها منسية ومغيبية، وتمّ تهميشها، ولا تتحدث وسائل الإعلام عنها، ولا يتم تدريسها في المدارس الوطنية حتى الكتب المدرسية لا تتحدث عنها، وهو ما جعل العديد من الجزائريين يعانون من الجهل ( تاريخهم وأصلهم ) والدليل على ذلك قول إبراهيم: "وجدت هذه الفكرة مغرية، في بلد يتنكر لتاريخه كثيرا"<sup>1</sup>.

هناك بعض المواطنين الجزائريين إلى غاية اليوم يرفضون فكرة التعدد والاختلاف، فلا يعترفون بوجود هوية أخرى مختلفة عن هويتهم، ولا يسمحون بوجود لغة أخرى، ويعملون جاهدين من أجل طمسها بأساليب وممارسات تعسفية وقمعية، وتحدث إبراهيم عن الرجل الذي كان يعمل في المكتبة الوطنية والذي بدت على وجهه علامات الإنزعاج لما رأى قائمة الكتب التي أراد إبراهيم الإطلاع عليها، والسبب في ذلك وجود خوف من كل باحث في عمق التاريخ: "وما كان يضايقني أكثر تصرفات ذلك الملتحي، قصير القامة، ذي الوجه الذميمة، صاحب القميص نصف الساق الذي كان يرميني بنضرات شذراء، بمؤخر العين وقد احتمر غضبا، بمجرد أن أضع ورقة الاستعارة أمامه"<sup>2</sup>.

لا يحتمل البعض الحديث عن الفترات التي سبقت قدوم العرب لمنطقة شمال إفريقيا، وينزعجون عند سماع مثل هذه المواضيع، دون أن يكون لهم علم بأنّ " الظروف هي من جعلت من هوياتنا تحمل أو تتشكّل من كل الانتماءات المختلفة، ولا يجب علينا أن نكون في حالة تشدد اتجاه هذا الانتماء المزدوج، لكي لا نقود أنفسنا والآخرين إلى مثل هذه الفظاعات والجرائم التي تحدث باسم الهوية، فعند تطبيق وحصر كل انتماءاتنا في انتماء واحد يكون في كثير من الأحيان قاتلا"<sup>3</sup>. فلا تتحقق وحدة الوطن بوجود لغة واحدة، أو دين واحد، وعرق واحد، فالوحدة الحقيقية تتحقق من خلال بناء وطن يقوم على التعايش بين مختلف مكوناته على اختلافهم، وقبول فكرة التعددية، والتوقف عن التصريحات العنصرية التي تدعو إلى احتقار الأقليات، أو السخرية من عادات وتقاليد الآخرين، بل وصل الأمر إلى توظيف بعض من رجال الدين من أجل تقديم فتاوى تحرم الحديث بلغة غير العربية أو الاحتفال بمناسبات غير المناسبات الدينية، " فالذين لا يستطيعون الاضطلاع بتنوعهم الخاص يجدون أنفسهم أحيانا أشد القتلة على الهوية فتكا، يهاجمون الذين يمثلون ذلك الجزء الذي يريدون طمسه"<sup>4</sup>، وهذا ليس أمرا عادلا في الجزائر التي ضحى من أجلها الملايين

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص84.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> حاتم زيدان: الذات والآخر في الخطاب السردي، ص126.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص127.

من الجزائريين، فلا توجد منطقة في الجزائر لم تواجه الاستعمار، ولم تخسر أرواحا كثيرة في سبيل الحرية، فكيف يمكن إقصاء الآخرين ومنعهم من التمتع بكامل حقوقهم كغيرهم من الجزائريين بعد الاستقلال؟.

بالعودة إلى الأحداث السردية نجد البطل إبراهيم سعى بعد اضطراره على الكتب القديمة في الكتابة: " كتبت أولا عن ذلك المجهول سليم التومي، المغيب والمنسي، وألفت سيناريو <<آخر ملوك مدينة الجزائر>>. انطلقت من مصيره المأساوي، بحثت في ظروف اغتياله. وكيف تجاهلته الذاكرة المحلية"<sup>1</sup> لقد أعادنا السارد إلى أحد أهم الحقب الزمنية القديمة ليفتح باب التساؤل حول مصير أحد ملوك الجزائر وهو سليم التومي، الذي استنجد بالإخوة بربروس للتصدي لهجمات الإسبان، والذي يحتمل أن يكون اغتيل على يد عروج بربروس الذي صورته التاريخ الرسمي للبلد على أنه فاتح المنطقة ومنقذها من الغزاة الصليبيين، لكن السارد صور هذا الشخص بأنه مجرم استولى على مدينة الجزائر بالمكر والخداع، حيث قتل سليم التومي وأخذ ملكه وأراد الزواج من الأميرة زفيرة زوجة سليم التومي، التي رفضت الزواج من قاتل زوجها وظلت وفيه لذكراه، وكان مصيرها الانتحار بعد أن حاول عروج الحصول عليها بالقوة.

سعى السارد من خلال هذه الرواية إلى إعادة الاعتبار لتلك الشخصيات التي سحقها التاريخ كليا، ومن بين هذه الشخصيات التي سلط عليها الضوء الملك الأمازيغي (كسيلة): "فقد راودني الشعور نفسه وأنا أكتب سيناريو <<أغليد الأمازيغ>> رافة على حال الملك ((كوسيلة)) وهو في الحقيقة ((أكسيل)) بمعنى النمر، وقد أصبح ((كسيلة)) تصغيرا وتحقيرا من بعض المؤرخين"<sup>2</sup> وكلّ هذه الجمل حاولت أن تفضح أخطاء التاريخ الرسمي، ومحاولات إقصاء المكون الأمازيغي، وفرض سياسة التعريب، كما أنّ هذه الأزمة ليست وليدة اليوم، فهناك من أرجعها إلى ما قبل الإستقلال " ففي مؤتمر الحزب الذي انعقد سنة 1949 ظهرت المعضلة التي تعرف "بالأزمة البربرية" بعد مذكرة قدمها زعيم الحركة الوطنية مصالي الحاج لمنظمة الأمم المتحدة مختزلا فيها مكونات الهوية الجزائرية في العروبة والإسلام "<sup>3</sup> وهذا ما أدى إلى وقوع أزمات عديدة كانتفاضة القبائل سنة 1980 وفي سنة 2001، حيث سعى الأمازيغ لكسب اعتراف النظام بلغتهم وثقافتهم واعتبارها جزءا من الهوية الجزائرية، " حيث يظهر التعصب للهوية بين الأقليات الصغيرة لأنّ كيانها

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص85.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص87.

<sup>3</sup> العائش التركي: " مستقبل الجزائر بين صراع الهوية، الاطلاع: مارس 2023،

Noonpost.com /content.Https://www14:302019

مهّد، أو الخوف من اضمحلال الهوية<sup>1</sup>. وهذا ما يؤدي إلى ردة فعل عنيفة من قبل تلك الجماعات المدافعة عن هويتها المهّدة.

ومن المسائل التي تطرقت إليها البنية السردية للرواية نجد الحديث عن "الوندال"، أحد الشعوب التي استتجد بهم الأمازيغ لدحض الغزو الروماني: "كان الوندال في طريقهم لشمال إفريقيا. عبروا مضيق جبل طارق عام 429 ميلادية، دخلوا من تلمسان وقضوا على الحامية الرومانية، رحب بهم الأمازيغ أينما حطوا الرحال"<sup>2</sup>، وذكر الأسباب التي دفعت الأمازيغ لطلب المساعدة من هذا الشعب الذي وصفه المؤرخون الغربيون بأنهم متوحشون وبربر. تطرّق أيضا إلى حياة القديس أغوستين ذي الأصول الأمازيغية، والذي تبنى المسيحية دينا له، وكرس حياته لخدمتها، وبالتالي نلاحظ أنّ السارد في صدد نقل رسالة واضحة مفادها أنّ الجزائر دولة لا يمكن اختزال تاريخها الطويل، الذي يميّز بالثراء، فهو وطن حضارات عريقة، وهذا ما يجعل الجزائر بلد النّوع الثقافي واللّغوي والديني، فأخذ المحكي السردى على تعرية التّاريخ الرّسمي، وتقديم أحداث تاريخية قصدها الراوي.

واستطاع السارد تعرية الواقع الجديد الذي أقدم النّظام الحاكم على فرضه بالقوة، والذي كتب تاريخا جديدا وطمس رموز ومعالم الوطن الحقيقية " غير أنّ الأنساق المضمرة التي بصرنا بها، تجعلنا نخلص إلى أنّ الرواية قامت على تفكيك الأسباب التي تسهم في تشكيل السّلطة وأساليب الهيمنة في المجتمع الجزائري، والتي جعلته ينتقل من مجتمع متعايش في ظروف قاهرة هي ظروف الاستعمار إلى مجتمع منغلق على هويّات جهويّة وأيديولوجية"<sup>3</sup> وقدّم لنا السارد العديد من الأمثلة حول هذا التعايش الذي كان موجودا بين الجزائريين وغيرهم من الأجناس الأخرى كمأساة جان سيناك الشاعر الفرنسي الذي عرف بمواقفه المساندة للأهالي ومناهضته للكولونيالية، لكوّنه يشترك معهم في المعاناة التي سببها الاستعمار من تهيمش وتفجير، وتحدث عن مأساة والدة هذا الشاعر التي عاشت في الجزائر حياة فقر و بؤس شديد، وقدّم مثال آخر حول التعايش الذي عرفته الجزائر قبل الاستقلال كقصة الحب التي جمعت بين جزائري يدعى موسى سيد أعلي مع فرنسية تدعى فرانسواز فيدال، والذي كان دائما يقول: "أكره الاستعمار لكنني أحب فرانسواز فيدال"<sup>4</sup> ويقدم مثال عن التعايش بين الديانات من خلال قصة موسى سيد أعلي مع اليهودي الذي يعمل عنده خياطا: " مرة كان معلمي اليهودي ليفي بن سعيد ينظر في ساعته، ويردد: " كالعادة

<sup>1</sup> ابتسام يوسف الطاهر: "الهوية وأنواعها"، تاريخ الإطلاع: 2023/04/01.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص89.

<sup>3</sup> آمنة بلعلّ: " زحام الأنساق في رواية أنا وحاييم للحبيب السائح"، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، ط1، الجزائر، 2019، ص26.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص68.

أنت متأخر بخمس دقائق يا موييز". أعتذر عنه عن التأخير وأصحح له اسمي موسى، يا سيد ليفي...موسى، وليس موييز" فيردد بالعربية: كيف كيف (سيان) يا موسى، كلنا أبناء الرب الواحد الذي في السماء"<sup>1</sup>. بما أنّ هناك الكثير من الأمثلة حول مظاهر التعايش الهويّاتي في فترة الاستعمار، لماذا بعد الاستقلال لا نعتزف إلاّ بمنطق الأحادية، "وهل بإمكان الروائي أن يسهم في اقتراح بعض مطالب تدبير الإصلاح والتحديث في مجتمعاتنا، من أجل تجاوز سرديات قاتلة كمفهوم الهوية المنغلقة، الذي يزداد انغلاقا كلما فكرنا فيه، ويزداد به تكريس أسطورة الوحدة الاثنية واللغوية والدينية والطائفية، في عالم يتحدد فيه مصير شعب بأكمله بسوء تدبير التصالح مع عنصر من عناصر هذه الوحدة"<sup>2</sup>.

ذهب السارد إلى الكشف عن السياسة الراديكالية التي تبناها بعض الأشخاص الذين ينتمون إلى الحزب الحاكم، والذين استغلوا مناصبهم من أجل إقصاء وتخوين كل من يعارضهم، إبراهيم البطل تحدث عن رجل عرفه في صغره يدعى خمستي الذي كان آنذاك رئيس البلدية، وكان يستمد شرعيته المزعومة من الثورة التي ادعى أنّه شارك فيها، فيتهم كل من يقف ضده بالولاء لفرنسا، فنلاحظ أنّ السياسة تلعب دورا في خلق صراع للهويّة فإذا رفض شخص سياسة الحزب الحاكم يصبح خائنا للوطن وتابعا للاستعمار، واستخدمت سياسة التخوين ضد المناطق المدافعة عن هويّتها المهددة، فصوّرها النظام على أنّها عدوة للدين والعربية، لذا رسم السارد العنف الذي مارسه رجال الحزب الحاكم كأسلوب للهيمنة والذي نتجت عنه مشاكل كثيرة منها صراع الهويّة.

يصور لنا هذا العمل الروائي ممثل الحزب الذي ظهر بعد الاستقلال شاهدا على ديكتاتورية مقبلة تقوم على الإقصاء والهيمنة وفرض أيديولوجية الهيمنة<sup>3</sup> ويعدّ رئيس البلدية خمستي خير مثال على ذلك: "وكان عينه المتبقية تريد أن تقفز إلى الفراغ، من شدة شعوره بالغضب، فالأخرى فقدتها في ظروف فظل إخفاءها، فحرص على استبدالها بأكاذيب وبطولات مزيفة خلال الحرب"<sup>4</sup>:

يشند صراع الهويّات في الجزائر، عند تطرق إبراهيم للحديث عن أحد الشخصيات البارزة في التاريخ الإسلامي وهو "طارق ابن زياد"، حيث طرح البطل سؤالا حول هويّة

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص65.

<sup>2</sup> أمانة بلعلي: زحام الأنساق في رواية أنا وحايم للحبيب السابح، ص9.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص21.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص95.

هذه الشخصية التاريخية والمعروف بأنه فاتح الأندلس، فهل يعود انتماؤه لأصول عربية كما يدعي البعض؟، أم أنه من أصول أمازيغية؟. بل ذهب إبراهيم إلى حد تشكيكه في صحة تلك الخطبة المشهورة والتي نسبت إلى طارق ابن زياد، واعتبرها مجرد كذبة اختلقها البعض من أجل تزييف نسب هذا القائد الإسلامي، وهؤلاء الذين يقصدهم السارد في الحقيقة هم المؤرخون الذين يحتقرون الشعوب الأخرى غير عربية، ويريدون إضفاء طابع القومية على الفتوحات الإسلامية بجعلها فتوحات عربية، رغم أن التاريخ أثبت مشاركة أجناس أخرى غير عربية، ومساهماتهم في الكثير من الانتصارات والانجازات التي خدمت الإسلام. فيقول إبراهيم بخصوص نسب طارق ابن زياد: "وأنا متأكد من شيء واحد أن طارق هذا أمازيغي واسمه الحقيقي الغير المعرب ((طارق أث زياد)) بيد أن أنصار موسى ابن نصير من المؤرخين اللاحقين، هم من أرادوا إثارة كل هذه الشكوك حول نسبه، للتقليل من شأنه ومن شأن الأمازيغ، الذين فتحوا بلاد القوط".<sup>1</sup>

بعد قضية نسب طارق ابن زياد التي أثارها البطل وشكّه حول أنه ينتمي إلى نسب عربي، ذهب إلى التساؤل عن تلك الخطبة التي يذكر التاريخ أن طارقاً ألقاها على جنوده بعد وصولهم إلى بلاد الأندلس: "فكثيرون شككوا في خطبة طارق بن زياد، التي ردها بلغة عربية فصيحة، هو الأمازيغي الذي يصعب عليه أن يقول مثلاً. وهل يعقل أن يقول أمازيغي قح عاش في بلاد دخلها الإسلام والعرب حديثاً مثل هذا الكلام على اعتبار أنها قطعة أدبية فريدة لا يقدر طارق على صياغتها"<sup>2</sup> فنلاحظ أين وصلت أزمة الهوية والتعصب لها، فالصراع الهويّاتي أدى إلى حد تزوير التاريخ وإقصاء الآخر وتهميشه كلياً فرد هذه باتّباع أساليب تهدف إلى استئصال الآخرين و"هذه المعطيات تظهر جلياً، أن ما كان للأزمة الهويّاتية أن تقوم لها قائمة لولا الأخطاء التاريخية الجسيمة التي ارتكبت تحت غطاء الإيديولوجية البعثية بمدّها القومي"<sup>3</sup>.

تهدف الرواية إلى إعادة قراءة الأحداث التاريخية، وترميم زيفها، والبحث في الأنساق المتوارية لتفكيك الواقع، فصراع الهوية في الجزائر امتد أثره إلى ميادين عديدة، فلم يسلم التاريخ ولا المجتمع من هذا الصراع والتعصب، لذا ذهب البطل في هذا المحكي السردى إلى الشكّ في كل شيء وكل ما يتعلق بالجزائر، وما يسعى النظام لتقديمه للشعب على أساس أنه الحقيقة المطلقة التي لا تقبل الشكّ، لذا نجد السارد يوظف الحكي كإستراتيجية ذات أهمية قصوى في بناء الذات وتشبيد الهوية، وسياسات تأويلها لتاريخها الخاص،

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص102.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص103.

<sup>3</sup> العائش التركي: "مستقبل الجزائر بين صراع الهوية والعقد التاريخية".

هذا البعد الخطابي للحكي هم ما يمكن تسميته بما وراء الحكاية، والمقصود بها الشفرة التأويلية التي تقوم بتفكيك البنى المضمرّة لأبيّ إستراتيجية قوة تفرض صورها النمطية وتمثيلات السبئية، وهذا ما تؤكد إستراتيجية السرد في الرواية عبر العالم، حيث وظّف السرد كإستراتيجية مضادّة لمواجهة عمليات الإسكات<sup>1</sup>، فإبراهيم عاجز على تصديق ما يقرؤه في الكتب الرّسمية، وتعد خطبة طارق ابن زياد خير مثال على ذلك: "أضحك كلما أستمع لهذه الخطبة... هل يعقل لأمازيغي أن يقول مثلها... في بلد يزور كل شيء بما في ذلك حقائق التاريخ لا أصدق الخطبة، حتى إن وردت في تاريخ ابن حبيب المتوفى سنة 239 هجرية وفي كتاب ((الإمامة والسياسة)) لابن قتيبة المتوفى سنة 276. وفي ((سراج الملوك)) للطرطوشي المتوفى سنة 520 هجرية<sup>2</sup>.

لتجاوز أزمة الهوية والخروج من هذا الصراع الذي طال أمده لابد من معرفة التاريخ الفعلي الذي تمّ تغييبه، وإعادة الاعتبار لما تمّ تهميشه وإخفاؤه، وبناء وطن يقوم على العدالة والمساواة، ومحاسبة كل الجهات التي تطلق تصريحات عنصرية وتدعو إلى الكراهية والتطرف حتى تصبح الجزائر وطنا يجمع جميع المواطنين رغم اختلافاتهم، فالاختلاف ليس عيبا، ومن بين أشهر المفكرين الذين عالجوا صراع الهويات في الوطن العربي نجد "أمين معلوف"، حيث يلاحظ المتنّب لكتابات الروائية أو السياسية " أن الكاتب دائما ما كان يطرح قضية الشرق والغرب أو الإسلام والغرب. وكذلك الحوار الحضاري والديني والثقافي واللغوي بين الحضارات والثقافات المختلفة وكثيرا ما كان يدعو إلى نبذ العنصرية والتعصب والعنف المترتب عنهما، واحترام الأقليات على اختلافها، دينية كانت أو عرقية أو إثنية، واحترام حقوق وحرّيات الشعوب والأفراد والتعايش بين الحضارات"<sup>3</sup> وتحقيق هذا الحوار والتعايش ليس مستحيلا في نظر حميد عبد القادر، وهو ما رأيناه سابقا من خلال الأمثلة التي استخرجناها من الرواية: كعلاقة الحبّ التي جمعت جزائري مع فرنسية، وعلاقة الصداقة بين مسلم ويهودي، وتعاطف بعض المعمّرين مع الأهالي في وقت الاستعمار كونهم ينتمون للطبقة الفقيرة المهمّشة، وكذلك الحزن الذي عمّ مدينة "روبير فيل" بعد وفاة الكونتيسة إميلي غاستون، والتي أحبّها الجميع لطيبة قلبها: "كانت كونتيسة امرأة عظوفة وصاحبة رقة عالية. كنّا نحبّها كثيرا، كانت كونتيسة حقيقية"<sup>4</sup> حيث تظهر طريقة تعامل الأهالي مع الكونتيسة، وكيف استطاع الشعب أن يتخطى الاختلافات سواء

<sup>1</sup> ينظر محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ص 37.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 105.

<sup>3</sup> حاتم زيدان: الذات والآخر في الخطاب السردى، ص 103.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 117.

كانت دينية أو عرقية أو إثنية، حيث ضرب سگان روبير فيل مثالا لمجتمع يقوم على التعايش الحقيقي وقبول الآخر رغم اختلافه، خاصة ما تعلّق بحوار الأديان: "ويقال أن الحاج البشير بن عودة تنقل إلى كاتدرائية السيدة الإفريقية بأعالي باب الوادي، بسيارته ((رونو16)) البيضاء، وهي تحتضر، واشترى إنجيلا. لما عاد عند الظهر، راح يقرأ لها بعض نصوصه، دون أن يبدي أي من أهالي الحي اعتراضه على قراءة كتاب مقدس غير القرآن"<sup>1</sup>. هذا المقطع السردي يعلن صراحة التعايش بين مختلف الديانات ومختلف الأجناس، وهذا ما يوحي بالتّصالح بين الذات والآخر.

وفي ختام هذا المبحث نكون قد توصلنا إلى أنّ أزمة الهوية موجودة في الجزائر وأنّها أزمة مفتعلة لعبت السياسة وكذا بعض الشخصيات التي تولت زمام الأمور في الجزائر على تأجيج مثل هذه الصراعات خدمة لمصالحها الضيقة وقد سعى السارد إلى معالجة هذه الأزمة وإيجاد حلول لها.

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص118.

نسعى من خلال المبحث إلى دراسة مختلف هموم الاجتماعية والسياسية وكذلك الأيديولوجية، وقد تعمّدنا الجمع بين هذه الهموم الثلاثة في مبحث واحد نظرا للارتباط الموجود بينها، فالأيديولوجي يؤثر على السياسي، والسياسي بطبيعية الحال له تأثير على الجانب الاجتماعي، فيصعب علينا الفصل بين قضايا كلّ جهة.

وما يلفت الانتباه في هذه الرواية رجل في الخمسين أنها غنيّة بالأنساق الاجتماعية، حيث ذهب السارد إلى ترميم العديد من المشاكل و القضايا الاجتماعية، بدأ بتجربة الزواج الفاشلة التي مرّ بها إبراهيم و هذا ما دفعه للانغماس في الآفات الاجتماعية كتعاطي الكحول و ذهابه لبيوت الدّعارة، كما سرد هموم تلك الفئات المهمّشة والمحتقرة من قبل المجتمع خاصة المرأة، حيث استحضّر السارد من خلال المحكي السرد قصّة امرأة تدعى سوكا تعمل كعاهرة سرعان ما تجمع بينها و بين البطل علاقة صداقة تنتهي بالقطيعة لأسباب متعلقة بنظرة المجتمع المرتبطة بالدين والأخلاق التي تنظر لمثل هذه الفئة نظرة سلبية للغاية، كما أثار السارد مسألة الهجرة، وحلم الشباب في الوصول للضفة المقابلة، بعد تلاشي آمالهم في تحقيق أهداف حياتهم في أرض الوطن، وما نريد أن نقوله في هذه النماذج التي استحضرها السارد هو أنّها تشترك في كونها تنتمي إلى " فئة المهمشين الذين تمّ تغييبهم لفترة طويلة و لكن كُتاب الألفية الثالثة قاموا بمعالجة هذه المسائل لكون طبقة المهمّشين اتّسع محيطها في مجتمعنا بشدّة، وبخاصة بعد ذبوع مفاهيم العنصرية والإقصائية نتيجة للأزمات الاجتماعية و كردّ فعل على إخفاق الأنظمة السياسية في منح طبقات المجتمع الدّنيا العناية الكافية"<sup>1</sup>، فهذا العمل الرّوائي يحمل صوت تلك الفئة، إلى جانب الأصوات الأخرى ومن بين الهموم الاجتماعية التي تطرّق إليها السارد نجد ما حدث للبطل إبراهيم الذي تزوج بعد عودته من المهجر (فرنسا)، في البداية كانت حياته الزوجية سعيدة و لكن سرعان ما انقلبت رأسا على عقب بسبب عجز زوجته على الإنجاب، ما سبّب لها أزمة نفسية حادة وصلت إلى حد انغلاقها عن العالم " سرعان ما ساءت أحوالنا الزوجية بعدما تأكّدت أنها لن تنجب، تفحصها عدة أطباء و جرّبت حتّى الوصفات التقليدية لكن لا شيء نتج عنه ما يسعدنا"<sup>2</sup>، الأمر الذي انعكس سلبا على البطل فأصابته الكآبة جرّاء الأوضاع التي آلت إليها علاقته الزوجية: "بدأت أشعر بالخمول والكسل كدت أفقد النّباهة والفتنة، قررت إرسال عطلة مرضية طويلة الأمد أقنعني طبيبي أنني مصاب بالاكتئاب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الله محمد كامل عيد الغني : صوت المهمشين و رؤيا العالم في رواية دفاتر الوراق لجلال برجس، المجلة العلمية، كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنين بدمياط الجديدة، العدد العاشر، 2022 ، ص 600.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص 21 \ 22.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 33.

وازدادت علاقة البطل مع زوجته تآزما بعد جنوحها إلى التدين، حيث قرّرت في البداية إعادة علاقتها مع زوجها إلى ما كانت عليه في البداية، ثم قرّرت أن تتحجّب وقصدت المسجد للصلاة، لكن تدينها المفاجئ أخذها إلى أتباع نهج التعصّب والتطرف في كلّ شيء: "جعلت كلّ شيء في البيت يخضع لتصورات متطرفة كانت تستقيها من برامج تليفزيونية دينية عبر قنوات عربية، يقدمها شيوخ ملتحمون متطرفون، يكون عداوة بيّنة للحياة"<sup>1</sup>. فهذه الوضعية البائسة التي مرّ عليها البطل دفعه في النهاية إلى اتخاذ قرار تطليقها، فلم يعد بإمكانه تحمّل تصرفاتها، وفقد الأمل في إصلاح علاقتهما من جديد: "طلّقتها دون أي تردّد، بعد أن أصبحت حياتي معها جحيما لا يطاق، وربما حياتها معي كذلك لم تعد تطاق"<sup>2</sup>.

بعد انتهاء الزواج بالطلاق، تتحوّل الأحداث عبر البنية السردية وتزداد أوضاع البطل إبراهيم تآزما، حيث انغمس في الآفات الاجتماعية كشراب الكحول: "كنا نشرب إلى غاية منتصف الليل. لا نغادر ((أبونواس)) إلا بعد أن يتعتنا السكر. نثرثر في كل القضايا، بصوت عال، ونحن منزوون عند طاولة دائرية، في مكان قليل الإضاءة"<sup>3</sup>، لقد أدمن إبراهيم شرب الخمر ظلّا منه أنّه بهذا يمكنه نسيان ماضيه الذي حكم عليه بالفشل، فكثيرا من الأشخاص يدفعهم اليأس إلى الانغماس وراء الآفات طمعا في الحصول على متعة تكون في حقيقة الأمر مزيفة.

سلّط السارد عبر هذا المحكي السردى الضوء على "المرأة" التي تعدّ أفضل مثال على وضعية القهر وكذلك الحرمان، من خلال استحضار سيرة (سوكا) أحد النساء اللواتي يمارسن الدّعارة في أحد الفنادق، والتي تعرّف إليها البطل "لتنقل إلينا معاناة هذه الشريحة المهمّشة والمحتقرة، إذ ينظر إليهم المجتمع كأنهم حشرات، لا وزن لها ولا قيمة، ففتحت الرواية الباب على مصراعيه لتظهر انحراف بعض هذه الفئة كردّ فعل لما يعيشونه من ذلّ وهوان"<sup>4</sup>.

تعتبر سوكا نموذج لامرأة تعرّضت للاغتصاب وهي لتزال فتاة صغيرة من قبل أحد أفراد الجماعات الإرهابية التي ظهرت في فترة التسعينات فيفتح السارد ملفّ اغتصاب

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص28.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص33.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص66.

<sup>4</sup> د. عبد الله محمد كامل عبد الغني: صوت المهمشين ورؤيا العالم في رواية "دفاتر الوراق" لجلال برجس، ص649.

النساء خلال العشرية السوداء، التي ظلّ تاريخ هذه المرحلة يكتنفه الكثير من الغموض والتزييف، وبالعودة إلى الرواية نجد الفتاة المدعوة سوكا دخلت عالم الدعارة، معتقدة أنها قد تلقتي يوماً ما بذلك الشخص الذي أقدم على اغتصابها، فتقوم بقتله وتحقق انتقامها منه، وقد تعرّف عليها إبراهيم الذي كان يمضي كثيراً من وقته في مثل هذه الأماكن: "نجلس مع عاهرات يرأفن على حالنا، وينزلن ثمن المضاجعة الواحدة بأقل تكلفتها بكثير، فتيات في مقتبل العمر ضاقت بهنّ سبل الحياة، فوجدنا أنفسهنّ يمتهنّ أقدم مهنة في التاريخ"<sup>1</sup>.

واستطاع السارد عبر أحداث الرواية تسليط الضوء على فئة تعرف على أنها لقيطة، لا يكنّ الناس أي احترام أو اهتمام لمثل هذه الفئة خاصة في المجتمعات المحافظة، لكن السارد أعاد الاعتبار لمثل هذه الطبقة من الناس وحاول الحديث عن الأسباب التي تجعل البعض يتجهن لمثل تلك الأمكنة غير المحترمة، فإبراهيم اعتاد الذهاب بسبب المشاكل وقسوة الحياة، أما سوكا فتمثّل المرأة الضحية الساعية للانتقام، فجندها دائماً تقول: "أنا فقط امرأة غدرها الزمن"<sup>2</sup>.

انتهت علاقة الصداقة التي جمعت بين إبراهيم وسوكا، بسبب رفض إبراهيم الزواج من سوكا باعتبارها مجرد عاهرة، حيث عجز البطل من تجاوز نظرة المجتمع فأجاب على طلبها مباشرة وبدون أي تردد ب "مستحيل". وهنا يظهر النسق المضمّر في أنّ المجتمع هو السيّد أياً كانت ثقافة الإنسان، وعليه "يركز هذا البحث على تتبع رؤى العالم الخاصة بشخصيات المجتمع المهمّشة، مثل: اللّقطاء، الفقراء، المرأة، في محاولة للتعرف على سمات هذه الرؤى وعلاقتها بالواقع ونتيح هذه الرؤى المختلفة لشخصيات المهمشين مجالاً أرحب من النقد والتّحليل"<sup>3</sup>، فلا يمكن لنا الحديث عن هموم المجتمع دون الحديث عن هذه المواضيع، أو ذكر تلك الفئات لكونها جزءاً من المجتمع، لذا لا يمكن الفرار من تناول قضاياها، وذكر الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الفئة، وكيف ينظر المجتمع إليها، وكيف تتعامل السلطة معها، باعتبار أنّ السياسة والإيديولوجية كانت العامل الأساسي لظهور هذه الفئة المهمّشة، والتي غيّبت لفترات طويلة "في طرح التّخييل الروائي منظورا إبداعيا مخالفا حواريا يتفاعل فيه التّخييلي بالتاريخ، وتتواجه فيه أصوات المركز والهامش، الذات والجماعة، القامع والمقموع"<sup>4</sup>. فتعدّدت الأصوات، ويعلو صوت المهمّشين. كما تحدّث السارد أيضاً عن الشّباب الرّاغبين في الهجرة، أملاً في تحقيق أحلامهم التي لم يتمكنوا من تحقيقها وهم في أرض الوطن، حيث "انهارت أحلام أبناء الوطن وهوت، تهضمت هذه الآمال على صخرة الحرمان والفقر وتهدّمت حياة الفقراء بمعول التّهميش، وهرب الشّباب

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص47.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص57.

<sup>3</sup> عبد الله محمد كامل عبد الغني: "صوت المهمشين ورؤيا العالم" في رواية "دفاتر الوراق" لجلال برجس"، ص600.

<sup>4</sup> محمد بو عزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ص99.

ليجربوا حظوظهم في بلاد أخرى غير الوطن، ليتجرّعوا ثمالة قدح الهوان والفقر" <sup>1</sup> وهذا ما يظهر من خلال صديق البطل إبراهيم المدعو " عبد السلام " الذي قرّر الهجرة إلى كندا، ليفتح السارد المجال للحديث عن أبرز هموم الاجتماعية، والتي انتشرت بكثرة خلال السنوات الأخيرة والمتمثلة في موضوع الهجرة، حيث يهدف " إلى تفكيك رؤية تعكس واقعا اجتماعيا مأزوما، هذا الواقع الذي انعكس في مكونات سردية تضامت لتكوين رؤية متكاملة الجوانب للعالم بجميع أجزائه وعبر عن هذه الرؤية شخصيات أجاد السارد رسمها لتصبح في كثير من الأمثلة تشكل النائب الفكري والاجتماعي أو السياسي عن منتج النص نفسه" <sup>2</sup>، فيمكن اعتبار عبد السلام مثالا للشباب الضائع، غير القادر على تحقيق أحلامه، وأن يعيش في سعادة في وطن يقصي الشباب ولا يعير أي اهتمام لرغباتهم.

لقد رأى عبد السلام في الهجرة إلى كندا الخلاص لهوموم، وبداية حياة جديدة، لكن نهايته كانت محزنة للغاية، ومصيره الموت في أرض الغربة، بعد أن قضى سنوات، وهو وحيدا: "سألت عن صديقي عبد السلام، الذي قضيت معه طفولتي، وجزءا كبيرا من شبابي، فجاءتني أخباره مخيبة للغاية قيل لي " هجر إلى كندا، ومات هناك" <sup>3</sup>، وبالتالي كانت نهاية هذا الصوت مأساوية تعكس مأساة آلاف من الشباب اليائس، حيث اعتقد عبد السلام أنه بمجرد خروجه من الوطن سيفتح صفحة جديدة في حياته، ويترك خلفه سنوات من الفشل، فذكر السارد الأسباب التي دفعت صديقه للهجرة: " تخرج من الجامعة منذ عشرين عاما، ولم يعثر على وظيفة تليق به، تنقل بين وظائف صغيرة، شعر بالتيه والضياع" <sup>4</sup>.

ولا يمكننا عزل هذه القضايا كالتهميش، والهجرة، ومعاناة المرأة عن السياسة والإيديولوجية، حيث تعد السياسة بشكل خاص العامل الأساسي الذي أدى إلى ظهور مثل هذه المشاكل الاجتماعية، ففساد المجتمع سببه فساد رجال السياسة، فالسارد أراد تعرية نسق السلطة السياسية وتحميلها المسؤولية لما آلت إليه الأوضاع في البلاد، وبالتالي عبّرت هذه الرواية عن الهم السياسي " ولذلك ترى القراءة الثقافية في سيرورتها النقدية، أنّ النصوص الأدبية بما تتضمنه من شفرات جمالية ليست بريئة، إذ إنّ التشكيلات الجمالية والصّور الفنيّة التي تمثّل نسيجاً كلياً لتلك النصوص ليست سوى مظهر وهمي وخادع يضمّر في جوانبه أنساقاً مختلة تتعلّق بالمجتمع والثقافة والإيديولوجيا" <sup>5</sup>، ومما لا شكّ فيه أنّ محكي هذه الرواية

<sup>1</sup> عبد الله محمد كامل عبد الغني: صوت المهمشين ورؤيا العالم في رواية "دفاتر الوراق" لجلال برجس، ص 643

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 601.

<sup>3</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص 57.

<sup>4</sup> نفس المصدر، ص 58.

<sup>5</sup> يوسف علميات: النسق الثقافي قراءة في أنساق الشعر العربي القديم، علم الكتب الحديث، ط 1، الأردن، 2009، ص 166.

يزخر بالعديد من الأنساق السياسية والإيديولوجية، والتي استطاع السارد التعبير عنها بذكاء، عن طريق شخصياته، فما يثير الانتباه أنه " لم يعد صوت الذات (الباحث) العالمي مستبعدا بحجة الموضوعية كما في المرحلة النبوية بل أصبح مسموعا، لا يكتفي بالوصف، بل يفسر ويؤول ويفاوض النص، وذلك من موقع إنساني ينخرط بموجبه الباحث في سياسات الحاضر ومشكلات التاريخ"<sup>1</sup>، فالرواية تطرقت إلى مختلف هموم السياسة والإيديولوجية التي عرفتها الجزائر، خاصة بعد الاستقلال حيث تبنت الدولة الجزائرية نظاما سياسيا وإيديولوجيا قائما على الأحادية والمركزية، وواجه كل من يعارضه بمختلف الطرق القمعية، وفرض منطق الهيمنة، وقد سعى السارد من خلال محكيه السرد إلى الكشف عن المضمرة السياسي، وتعرية خطاب السلطة الحاكمة وممارساتها التعسفية وهذا " يعد انتقالا مطلوباً من سرد تهيمن عليه وجهة نظر وتتحكم فيه إلى بؤر تتعايش فيها العديد من الرؤى والمنظورات الإيديولوجية والحياتية التي تملك حقها في الوجود والصراع بمعزل عن المنظور الأحادي المهيمن"<sup>2</sup>.

كما أعاد السارد الاعتبار لتلك الفئات التي كانت ضحية للسياسة والإيديولوجية المتحكمة بالوطن، ومن أبرز الأحداث استحضار البطل إبراهيم موضوع الشاعر الفرنسي "جان سيناك" الذي كان يحلم ببناء وطن بعيد عن الكولونيالية، جزائر تجمع بين مختلف: "الأعراق والأجناس، يعيش فيها البربر والعرب واليهود وبعض الأوروبيين المتعاطفين مع قضيتنا. سيتعايش المسجد مع الكنيسة ومعبد اليهود، لكنهم قتلوه، اغتالوا أحلامه وأحلامنا جميعا"<sup>3</sup>. استطاع المقطع السردى التعبير عن هم سياسي وكذلك إيديولوجي، حيث فشلت أحلام سيناك وغيره من المواطنين الذين حلموا باستقلال الجزائر وجعلها موطن تتعايش فيه مختلف الأعراق، وطن قائم على التعددية والحرية، ولكن بمجرد الاستقلال طبق منطق الحزب الواحد، واللغة الواحدة، والعرق الواحد، وتم إقصاء الغير: "أدرك نيتهم السيئة، أدرك أنهم سائرون نحو خيار لن يقبل به وبأمثاله، ولا بأجناس أخرى، حتى ولو حارب بينهم، إنهم يريدون بلدا صافيا لا يقبل الاختلاط، ومستعدون لاختلاق هذا الصفاء المزعوم بقرارات سياسية، وتصورات رجالهم العائدين حديثا من بغداد ودمشق من أنصار ذلك التوجه الإيديولوجي الأحادي الراض للآخر"<sup>4</sup>، فأنصار التوجه الإيديولوجي القائم

<sup>1</sup> محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ص37.

<sup>2</sup> عبد الله محمد كامل عبد الغني: صوت المهمشين ورؤيا العالم في رواية دفاتر الوراق لجلال برجس، ص636.

<sup>3</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص100.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص108.

على الأحادية يعتبر كل من يختلف عنهم عدواً لا بدّ من اقصائه، لأنه يمثل تهديداً لنظامهم: "لقي سيناك مصير صديقه المخلوع (بن.ب)"<sup>1</sup>

كما قام السارد على التّبئير جهة الظلم الذي تعرّض له بعض المواطنين بسبب السياسات والتوجهات الإيديولوجية التي تبناها المسؤولون، كذكر مشاعر الكراهية التي تكنّها والدة البطل اتجاه رؤساء البلاد: "أسرت لي بأنها تكره الرئيس الذي سبقه، كلاهما تسبب في كثير من المآسي لأفراد عائلتي"<sup>2</sup>. ولعلّ السبب الأساسي وراء هذا الكره اتجاه الرؤساء إلى السياسة الاقتصادية التي تبوّها في تلك الفترة، والمتمثلة في النظام الاشتراكي، الذي ينصّ على تأميم الأراضي والممتلكات التي تملكها العائلات البرجوازية الغنيّة، وهذا ما تسبّب في ضياع حقوق ملاك الأراضي الكبار والعائلات الثرية، حيث انتزعت ممتلكاتهم بالقوة وانتقلت تلك العائلات من حياة الثراء إلى الفقر واليأس: "شهدت والدتي خراب عائلتها. وعاشت التحول المفاجئ، والمحزن، والغير محتمل، من عائلة برجوازية ميسورة الحال، إلى عائلة بلا ملكية، بعد إقدام الرئيس ذي البذلة الماوية على تأميم سينما الشرق التي اشتراها جدي الحاج أرزقي خلال الحرب الكبرى من يهودي يقطن بشارع <<لالير>> يدعى يعقوب بن سعيد كان على حافة الإفلاس، بعد أن جرد المار يشان بيتان اليهود من الجنسية الفرنسية"<sup>3</sup>

وحرصت هذه الأحداث السردية على تعرية بعض القضايا فهذا الأمر الذي شهدته البلاد بعد الاستقلال دفع العديد من الأشخاص المنتمين لهذه الفئة من المجتمع بالشعور بالخيبة، حيث تعرّضت للقمع، وانتهكت حقوقهم وتعرّضوا لكثير من التهميش، فالسياسة والإيديولوجية التي اعتمدت استهدفت فئة من المجتمع الجزائري والتي لعبت دوراً مهماً أثناء الثورة، وحلمت بالاستقلال كغيرها من الجزائريين، وبعد تحقيق الاستقلال الذي طال انتظاره تهجّمت الدولة على تلك الفئة وجرّدتهم من كل شيء كما لو كانوا مجرمين، فعانت الطبقة البرجوازية في صمت، حيث لم تستطع مواجهة النظام الدكتاتوري أو معارضة قراراته، والذي كان يستهدف هذه الفئة بحجّة الدفاع عن الفقراء وتحقيق العدالة الاجتماعية، والقضاء على الفوارق الاجتماعية... الخ من الشعارات التي استمدّت من المعسكر الشرقي خلال فترة الحرب الباردة.

عبّرت هذه الرواية عبر محكيها السردية باقتدار عن الهمّ السياسي والإيديولوجي وذلك عبر شخصيات الرواية التي أجاد السارد اختيارها للتعبير عن هذه الهموم عبر بعض النماذج التي تقوم بسرد التجارب التي مرّت بها خلال مراحل زمنية معيّنة والتي ترتبط

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص109.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص132.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص134.

بالجزائر ومن أبرزها لجوء إبراهيم إلى سرد مأساة عائلته، والتي كان سببها قرارات سياسية طائشة متبناة من طرف رؤساء لا يهتمهم أمر الشعب، فنجدته يقول وهو يسرد ما حدث مع جدّه: "خسر جدّي ما تبقى له من أملاك قيل أنه عاد إلى البيت في الظهرية، فصاح صيحة هستيريا وردد قائلاً بالفرنسية<sup>1</sup> "je ne suis pas mois révolutionnaire que vous"

يظهر من خلال هذه النماذج السردية المستحضرة كيف أنّ السارد أراد أن ينقل لنا الحقائق التي عاشتها الجزائر خاصة في مرحلة ما بعد الاستقلال، أين انتقد السياسة التي تبناها النظام الحاكم والتي تسببت في خراب عائلات جزائرية، حيث أقدم النظام على سرقة ممتلكات الآخرين بالقوة، وهذا مثال لطبيعة الظلم السياسي والإيديولوجي المتحكم خلال تلك المرحلة في البلاد.

كما تكشف مذكرتنا ما للإيديولوجيا من حضور قوي داخل النصّ الأدبي " وقد أشار تيري إيجلتون Tery Eagleton إلى أنّ ثمة أنساقاً أيديولوجية معيّنة تتوارى في بنية النصّ الأدبي بحيث تقدّم هذه الأنساق نفسها في العمل بواسطة أشكال متنوّعة، وذلك من خلال اللّغة العادية المألوفة والرمز والاصطلاح المتعارف عليها وعبر شفرة الإدراك الحسي، وعبر نتائج صناعية أخرى"<sup>2</sup>. ونجد داخل هذا المحكي السردى العديد من النماذج المرتبطة بالإيديولوجيا، وهو ما يظهر عند حديث البطل عن خاله المدعو مقران الذي يدعم بقوة التوجّه الاشتراكي وله علاقة قوية مع جماعة من الأفراد ذوي التوجّهات الشيوعية: "يقضي ساعات المساء في بار <<لابراس>> والليل في بار ((ستالينغراد))، حيث كان يجلس في السابق شيوعيون وأوروبيون جاؤوا من كل حذب، وصوب خلال الحرب الكبرى، حاملين أفكار الأهمية الثالثة"<sup>3</sup>. يشير هذا المقطع إلى حضور الإيديولوجية وذلك من خلال استعمال الحقل الدلالي التالي: ستالينغراد، ستالين، شيوعيون، أفكار الأهمية الثالثة، فكلها مصطلحات متعلقة بالإيديولوجية الشيوعية التي تعرف بأنها تنادي أو تدّعي الوقوف في وجه الامبريالية الغربية، وأنّها ستحقق العدالة والمساواة الاجتماعية والقضاء على الطبقيّة، ويرى إيجلتون "أنّ الإيديولوجيا النصية تعرض نفسها أيضا في أشكال أكثر اتقانا في الصياغة أي في هذه الصيغ الجمالية والسياسية والأخلاقية، وغيرها من الصيغ الخاصة التي ربما تتخلل اللغة العادية، ولكنها في الوقت نفسه تنبثق من هذه اللغة بوصفها

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص136.

<sup>2</sup> د. يوسف علميات: النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، ص166.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص133.

بلورة استثنائية متميزة للمعنى"<sup>1</sup>

بالرجوع إلى أحداث الرواية يروي إبراهيم حياة خاله مقران الذي عرف بدعوه الشديد لسياسات الرئيس وتوجهاته رغم كل الأذى الذي تسببه لعائلتهم: "لم يتوقف عن إخبارها أنه كان يعطف على الفقراء، وأنه حامي الثورة وما بعدها، قدم لها الواقع كما يريد أن يراه"<sup>2</sup>، وذكر البطل أيضا مختلف الجرائم التي ارتكبتها النظام الحاكم وبقي خاله مقران يدعم هذا الرئيس، رغم معرفته بتلك الفظائع التي ارتكبتها بحق أناس أبرياء: "لم يكثر لها مساتهم، وهم ينقلون إلى السجون ويتعرضون للتعذيب، ثم للنفي في أماكن قسوة بالصحراء، وصلته أخبارهم، وعذاباتهم فلم يكثر لها، كان (خالي) يملك طباعا خاصة أبعدته عن عامة الناس"<sup>3</sup>.

إزاء هذه الأوضاع هناك من قرّر الخروج عن نسق السلطة وفضحتها، وهناك من اختار الخضوع لأوامرها مثل ما هو الحال مع خال إبراهيم الذي يمثل الذات الخاضعة لنسق السلطة والتابع المخلص لها، وتظهر الايدولوجيا بشكل جلي في المقطع التالي الذي يوجّه فيه مقران انتقادات لأحد أبرز وجوه الشيوعية وهو جوزيف ستالين، المعروف بأنه رمز للقمع والديكتاتورية المقيّنة، من خلال تصفية معارضييه أو منافسيه على الحكم، وإنشاء المعتقلات ونفي المعارضين: "كان خالي مقران يمقت ستالين مقتا شديدا، كان يعتقد أن الستالينية تعادي الماركسية وأنها خالية من الروح الإنسانية. سمعته يردد <<جرائم ستالين المجنون لا تغفر>> الغولاغ... التهجير القصري، كل هذه التجاوزات جعلت منه إنسانا متسلطا لا يؤمن بالحلم"<sup>4</sup>. هذا الأمر كان غريبا وأثار تعجب إبراهيم، فتبدو شخصية خاله مليئة بالتناقضات، فمن جهة يغض بصره عن ممارسات رئيس البلاد اتجاه بني جلدته ولا يتوقف عن الدفاع عنه وإعلانه الوقوف إلى جانبه، وفي المقابل يمقت أحد أبرز وجوه الاشتراكية والشيوعية ويتهمه بالوحشية وتجرده من الإنسانية، فهو يمثل صوت التردد وعدم الثبات.

لقد أصبح الأدب وسيلة لتناول مختلف هموم الاجتماعية والسياسية، ونجد أنّ للايدولوجيا حضورا قويا في الأعمال الروائية في مرحلة ما بعد الحداثة، وأصبح "المتخيل الاجتماعي بما يكشف عنه من حكايات وتواريخ جديدة، فإنّه على خلاف الرواية الرسمية لا يسعى إلى التحكم في هذا المتخيل وتوجيهه، وبرمجته ايدولوجيا، بل يمثّل أداة مضادة لإستراتيجية

<sup>1</sup> د. يوسف علميات: النسق الثقافي قراءة في ثقافة في أنساق الشعر العربي القديم، ص166.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص133.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، نفس الصفحة.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص138.

التحكّم والهيمنة"<sup>1</sup> لذلك ركزت أحداث الرواية على مختلف هموم المتعلقة بالذات وكذلك الآخر، سواء ما تعلق بقضية المهمّشين: الفقراء، الشّباب الضّائع، المرأة المقهورة، عامة النّاس الذين ضاعت حقوقهم. كلّ هذه الفئات المكسورة تعاني من مشاكل اجتماعية سببها الانعكاسات السّلبية للممارسات السّياسية والإيديولوجية الخاطئة التي لا تهتمّ إلا بمصالح فئات متحكمة بزمام الأمور وأبعدت الشّعب أو عامة النّاس وجعلتهم في الهامش لذا عمل السّارد من خلال "هذه العملية الخطابية، تحرير الأصوات المقموعة، وإعادة نقشها في الحكاية، يتيح السّرد التخيلي كتابة تواريخ جديدة، تضمينية تعددية تتوسّل سياسات الاختلاف التي تسمح بتمثيل الآخر والأطراف المنبوذة والمهمّشة خارج المركز"<sup>2</sup>.

من خلال كل هذه النماذج التي تطرقنا إليها في هذه المذكرة والتي استخرجناها من أحداث الرواية نستطيع أن نجيب عن السؤال المتعلّق حول ما إذا استطاع حميد عبد القادر التعبير عن هموم السّياسية والاجتماعية والإيديولوجية بنعم، لكون هذا العمل الموجود بين أيدينا يشترك مع غيره من النصوص المعاصرة في كونها تتطرق إلى مختلف المواضيع المحظورة والتي من الصعب الحديث عنها بشكل صريح، خاصة لدى الدول العربية التي تتميز بغياب تام للديمقراطية، وقمع الحريات خاصة حرية التعبير والإدلاء بالرأي، وهذا ما جعل الأدباء يلجأون إلى كتابة الرواية التي تعالج هموم السّياسية وتدافع عن الحريّات وتتجاوز كل أشكال الرقابة والقيود المفروضة " وهذا ما أدى إلى أن تملك الرواية قدرا من الحرّية تسمح لها ببناء عالم تصرّح فيه، وعبرت من خلاله عن تشاؤمها ونزواتها وأتراح الحياة ومناهجها"<sup>3</sup>.

أما فيما تعلق بالايديولوجيا فنلاحظ أن السّارد أقدم على توظيفها من خلال التّطرق إلى الحديث عن صراع التّيارات الإيديولوجية التي عرفتها البلاد منذ مرحلة الاستقلال لأن "الأدب يتناول الأفكار السّياسية ويذكر التّيارات الإيديولوجية بشكل مغاير ومختلف لما هو موجود في برنامج سياسي، أو مقال في جريدة أو نشرة أخبار، ففي الرواية تجد شخصيات متخيّلة تتصارع فيما بينها ويختلفون في الأفكار التي يحملونها"<sup>4</sup>. ولا يمكننا أن نختم دون

<sup>1</sup> محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ص98.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص105.

<sup>3</sup> فواز حداد: "شبهة السياسة في الأدب، قناة العربي الجديد، 14 مارس 2023.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه.

الإشارة إلى أهم مسألة منحها السارد أهميّة بالغة والمتمثلة في الكشف عن الواقع الاجتماعي بواسطة الأدب، حيث عكست هذه الرواية صورة المجتمع الجزائري خلال فترات مختلفة من الزمن بمختلف أبعاده سواء: الدينية، والسياسية، والإيديولوجية، والنفسية، فسلط الضوء على بعض فئات المجتمع، والمعانات التي تعرضت له من قمع أو تهيمش، كما أزال الستار لما هو محظور ومخفي لسنوات طويلة وقام بتقديم تفسير مختلف لما يروج له النظام وذلك من خلال اتهام رجال النظام بالمسؤولية لما شهدته البلاد من أزمات سياسية وصراعات إيديولوجية وتهيمش اجتماعي، ولكن بواسطة عمل تخيلي يثير إعجاب القارئ ويجلب انتباهه ويدفعه لمواصلة قراءة الرواية والغوص في عوالمها المختلفة، لكنها مرتبطة دائما بما يحدث في أرض الواقع وخلف الغطاء التخيلي رسالة يريد الكاتب إيصالها إلى القارئ.

## الفصل الثاني.

تفكيك الأنساق الثقافية للغيرية  
الواردة في محكي الرواية

المبحث الأول: تفكيك نسق المركزيات.

المبحث الثاني: تفكيك نسق همّ التعايش.

المبحث الثالث: تفكيك نسق الأنوثة الغيرية.

تسعى هذه المذكرة إلى الحفر في الأنساق الثقافية المتعلقة بالغير في رواية رجل في الخمسين للكاتب الجزائري حميد عبد القادر، فهذا النص الإبداعي يزخر بالكثير من الأنساق الثقافية والتي فرضت نفسها، ولكي نتمكن من تحديدها ينبغي لنا أولاً الغوص في مضمرات المحكي السردي لهذه الرواية. وهذا ما سنسلط عليه الضوء من خلال دراستنا لهذه الرواية التي تعد قائمة على مجموعة من الأنساق الثقافية المتوارية داخل النص، وسنركز كثيراً في هذه الدراسة على تتبع النسق الثقافي المتعلق بالغيرية، وتتبع مضمراتها من أجل الوصول إلى نتائج حول كيفية تشكل الآخر كمركزية حاول السارد تقويضها؟، ومعرفة ماذا نقصد بالنسق الثقافي؟، ومعنى الغيرية؟.

طرح السارد العديد من المظاهر الثقافية، ومن الأنساق البارزة في الرواية نجد: الأنساق المتعلقة بالمركزية كنسق الاستعمار، و نسق الثورة، و نسق السلطة، فهذه المواضيع تمثل "الآخر" أو "الغير"، وقد استطاعت أن تفرض نفسها كمركزية داخل الرواية، بالإضافة إلى أنساق ثقافية أخرى كالتعايش بين الأديان وما يتصل بها من هموم، كذلك نسق التعالي لكننا سنركز كثيراً في هذا المبحث على أحد أبرز وأهم المظاهر الثقافية التي عالجه العديد من الأدباء الكبار في أعمالهم خاصة في مرحلة ما بعد الحداثة والمتمثلة في المركز.

بداية علينا أن نقوم بتحديد مفهوم الأنساق الثقافية، ومفهوم الغيرية، فبالنسبة لمصطلح **نسق ثقافي** نجد أنّ غالباً ما يتم استعماله في حقل النقد الثقافي للتعبير والدلالة على أنه: "قوانين التشريعات الأرضية من صنع الإنسان، في مقابل التعاليم السماوية التي أنزلها الله تعالى في الأديان، و وضعها الإنسان لضبط نفسه وتصريف أموره في الحياة، وهي تعبر عن تصوير الإنسان القديم لما ينبغي أن تكون عليه الحياة، والأنساق الثقافية قابلة للتطور شأنها شأن كلّ عناصر الحياة"<sup>1</sup>، أما فيما يتعلق بمصدرها فيمكن القول أنها: تعتبر وليدة تطورات اجتماعية، وتغير في ثقافة المجتمعات عبر الزمن، كما أنّ النسق الثقافي ليس مجرد تصوّر ذهني، بل هو فعل أو حركة تجسدها أنماط السلوك الاجتماعي لدى أفراد جماعة بشرية ما، أنّه موقف وليس مجرد قيمة رمزية أو معنوية فقط، بل هو فعل يتحرك في إطار الثقافة التي أنتجته<sup>2</sup>، وبالتالي نلاحظ هنا العلاقة الموجودة بين النسق الثقافي بالجماعة التي أنتجته، فالمجتمع لعب دوراً كبيراً في تشكيل هذه الأنساق وتداولها، وهناك نقطة في غاية الأهمية تتعلق بالأنساق الثقافية والمتمثلة في كونها قد تكون إما ظاهرة

<sup>1</sup> طارق بوحالة: "النسق الثقافي"، صحيفة رأي اليوم، أبريل 2022.

<sup>2</sup> ينظر: سعاد بولحواش: "الأنساق الثقافية في رواية يوميات في بلاد القبائل لمولود فرعون"، مجلة مخبر تحليل الخطاب بجامعة مولود معمري بتيزي وزو، ط1، الجزائر، 2019، ص196.

في النصّ الأدبي يمكن التعرّف عليها والكشف عنها بسهولة، ويمكن من جهة أخرى أن تكون مضمرّة وخفية لا بدّ من البحث عنها في النصّ بغية الوصول إليها، وبتعبير آخر "النسق الثقافي له مظهران في النصوص الثقافية هما النسق الظاهر المعلن والآخر النسق المضمّر الخفي، وهذان النسقان متلازمان داخل النصوص الثقافية لا يكاد أحدهما يفارق الآخر، بل يتعارضان ويتناقضان ويتجادلان داخل النصّ الثقافي" <sup>1</sup> ولكي ينجح القارئ في التوصل إلى معرفة هذه الأنساق والكشف عنها داخل النصّ الأدبي وجب عليه الاستعانة بعملية القراءة والتأويل، "حيث ترتبط الأنساق الثقافية داخل النصوص الأدبية بعملية القراءة والتحليل، بمعنى أنّها لا تتكشف إلا من خلال التأويل في ضوء السياق الثقافي الذي أنتج هذه النصوص، ثم إنّ القراءة هي التي تعيد تشكيل الأنساق المتوارية خلف البناء الجمالي واللغوي للنصوص الأدبية" <sup>2</sup>.

تتحقق الأنساق الثقافية إذا توفرت مجموعة من الشروط والتي ذكرها الناقد عبد الله الغدامي ومن أبرزها أنّ النسقين يجب أن يكونا متعارضين في قوله: "إن مواصفات الوظيفة النسقية هي نسقان يحدثان معاً، في آن، وفي نصّ واحد، أو في ما هو بحكم النصّ الواحد يكون المضمّر منها نقيضاً ومضاداً للعلن... ولا بدّ أن يكون النصّ جميلاً ويستهلك بوصفه جميلاً، كما أن يكون النصّ جماهيرياً..." <sup>3</sup>. أما فيما يتعلّق بتحديد مفهوم الغير أو معنى الغيرية فإنّ البداية ستكون مع ثنائية الأنا والآخر فكثيراً ما عولج هذا الموضوع تحت مصطلحات كثيرة منها: "نحن والآخر"، "الذات والغير"، "الأنا والآخر"، لكننا سنركّز على مفهوم "الغير" لكون موضوع دراستنا هو الأنساق الثقافية المتعلقة بالغيرية.

من الناحية اللغوية ورد في لسان العرب "الآخر" بمعنى "الغير": "كقولك رجل آخر وثوب آخر" <sup>4</sup>. وعند جون بول سارتر نجده يعرف لنا الغير أو الآخر من خلال اعتباره على أنّه شرط لوجود الذات: "فوجود الآخر شرط لوجودي وشرط لمعرفتي لنفسي، لذلك يصبح اكتشافاً لدواخلي اكتشافاً للآخر كالحريّة إمّا لجانبي أو ضدّي" <sup>5</sup>.

وذهب عمر بن بوحليدة في تعريفه للآخر أو الغير بالقول "الآخر ملازم للذات وأساسي

<sup>1</sup> سعاد بولحواش: "الأنساق الثقافية في رواية يوميات في بلاد القبائل لمولود فرعون" ص 197.

<sup>2</sup> طارق بوحالة: "النسق الثقافي"، صحيفة رأي اليوم، 5 أفريل 2022.

<sup>3</sup> المرجع نفسه.

<sup>4</sup> جمال الدين محمد بن مكرم ابن منصور: لسان العرب، ج 1، مادة (أن)، تح: خالد رشد قاصي، دار صبح اديسوفت، بيروت، لبنان، ط 1، 1955، ص 74.

<sup>5</sup> عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، 1980.

لتكوينها وتحديد هويتها إذ هو " اختراع تريده ذات ما، ومن ثمة تستعمله لتعريف نفسها "1. وما يثير الاهتمام، فيتمثل في اعتبار "الغير" أو "الأخر" من بين المصطلحات الشائعة والتي يتم تداولها كثيرا في الأعمال المعاصرة وفي العديد من الميادين والمجالات المعرفية حيث أصبح قضية مركزية في جل الدراسات السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية والنقدية والمؤتمرات والندوات والملتقيات، وقد ارتبط بالعديد من المفاهيم المجاورة أبرزها: الأنا، الاختلاف، الاستشراق، المركز، العرقية، الهوية...

عكست رواية رجل في الخمسين العديد من الأنساق الثقافية المتعلقة بالغير أهمها المركز المثسك من خلال مثلا :

**نسق الاستعمار :** حيث يعتبر الاستعمار مركزا مهماً عالج السارد في هذه الرواية، حيث حرص السارد على الكشف عن العلاقة الموجودة بين المستعمر والمستعمّر وتفكيك الخطاب الاستعماري وفضح ممارساته اللانسانية القائمة على الإقصاء، والقمع، والترهيب، وقام بتهميش الآخر المستعمر وغيبه تماما ولم يسمح له بنقل صورته الحقيقية، فالمركز المتمثل في الاستعمار هو المتحكّم في الآخر، وكذلك في تمثيله: " كنت دائما أسأل نفسي: هل كان يمكن تصور نجاح الحملة الفرنسية والغزو على الجزائر من دون دولاكورا؟، هذا الفنان الشيطان الذي قدم نساء مدينة الجزائر كمادة للإغراء والإغواء لفرنسيين محرومين من كل متاع الدنيا، بما في ذلك جسد النساء "2 فالاستعمار عمد بغية تحفيز جنوده على القتال وغزو الجزائر إلى الاستعانة بأساليب لقيطة أبرزها إعطاء صورة ذات طابع غرائزي لنساء الجزائر، وتعد لوحة دولاكورا بعنوان " نساء الجزائر في مخادعهن"، والتي رسمت قبل الحملة الفرنسية على الجزائر بقليل خير مثال لهذه الممارسة، وتشكل هذه الجنسية الغرائزية للآخر علامة خطابية على المهانة والتهميش، وتوضّح كيف أنّ جسد الآخر حيزا تظهر خلاله أنظمة القوة. "3 وإلى جانب تصوير الآخر من طرف المركز (المستعمر) تصويرا جنسيا، قام أيضا بتغيب الآخر في بعض الأحيان، فمن يملك السرد يملك القوة، والتي تمكنه أيضا من التحكم في تصوير الآخر كما يشاء هو، فنجد البطل إبراهيم تحدّث عن لوحة نساء الجزائر في مخادعهن على أنها إقصاء وتغيب لحضور الرّجل، بتصوير الجزائر على أنها أرض توجد فيها نساء في غاية الحسن والجمال

<sup>1</sup> عمر بن بوحليدة: " الحداثة واستعباد الآخر"، دراسة أركيولوجية في جدل العقلانية والجنون، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2013، ص43.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص29.

<sup>3</sup> محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ص 42.

دون وجود أثر للرجل: "غيب الرجل سيد الحريم، سيد المكان أبعد عن نساته، أبعد العربي الذي سيتحول من غائب (مغيب) إلى أندجان، حول المكان إلى ماخور بعد تغييب الرجل"<sup>1</sup> ويعد هذا التغييب متعمداً حيث نجد " أن السرد الروائي الإمبراطوري الذي قام بتمثيل الأصلاحي، أي الشعوب الأصلية في المستعمرات، في صورة سلبية، كشخص صامت لا تاريخ له، ينوب عليه السرد الكولونيالي في الكلام عنه وفرض صورته النمطية، بحيث يقترن السرد بالقوة، من يمتلك سلطة السرد هو من يتحكم في تمثيل الآخر"<sup>2</sup>.

سعى السارد إلى تفكيك نسق المستعمر وتعرية خطابه القائم على تغييب الآخر وحذفه، بحيث نجد في أثر هذه التنظيمات الامبريالية، سيتم تهميش أشكال الآخريّة العرقية والثقافية المغايرة في السرد الروائي الغربي، وهذه الإستراتيجية المعتمدة من طرف الاستعمار لا نجدها فقط في هذه الرواية رجل في الخمسين بل تظهر في العديد من الأعمال الإبداعية مثل رواية "الاخلاقي" لأندريه جيد، حيث يخضع الآخر الجزائري لسوء التمثيل، وتشخص الجزائر في صورة فضاء كولونيالي تتمسرح عليه الغرائز الجنسية الشاذة، وتمثل الجزائر فضاءً ومكاناً في غاية الغرابة وامتداد بدوياً من الصحاري والواحات المترامية والصبيان والبنات الأصلاحيين، غير الأخلاقيين.<sup>3</sup>

هذه الصورة السلبية التي فرضها المركز (المستعمر) هي مجرد حجة لتبرير الحركة الاستعمارية على العالم الثالث، حيث يدعي أتباع الكولونيالية والمدافعين بشدة عن الحملات الاستعمارية أن الاستعمار حمل رسالة تنويرية لتلك المناطق وساهم في إخراج شعوب تلك المناطق من الجهل والتخلف الذي كانت فيه لترتقي إلى مرحلة الحضرة والحضارة، ولكن في حقيقة الأمر هذا الكلام لا أساس له بل هو مجرد حجة لتبرير إخضاع الغير: "أظن صامتا بينهم، رأسي مطأطأ وهم لا يحبون الأندجان، الإمطأطي الرؤوس، أحيانا أستاذ من أمور بائسة، كانت تحدث كل صباح في الترامواي كأن يطلب أحد الأوروبيين من سيّدة عجوز أن تنهض من مقعدها وتتركه يجلس... هو أوروبي، وهي أندجان وهذه هي الأعراف المفروضة"<sup>4</sup>.

وعليه كان همّ العديد من الكتاب في مرحلة ما بعد الحداثة تفكيك مركزية الاستعمار وذلك من خلال الأعمال الروائية التي تفضح الصورة الكولونيالية، ومن أشهر هؤلاء ادوارد سعيد، بياغري سبيفاك (GAYATRI SPIVAK)...

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 30.

<sup>2</sup> محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ص 38.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 42.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 64.

يقول محمد بوعزة: " تعمل النظرية ما بعد الكولونيالية على كشف بنيات القوة المضمرّة في الخطاب الغربي من جهة أولى، حيث ظل الآخر موضوعاً لحقول المعرفة الغربية ضمن ديالكتيك العبد السيد ومن جهة ثانية يتم إخضاع هذه الحقول المعرفية للمراجعة والتفكيك من طرف الآخر، الذي كان ذات يوم مجرد موضوع في الاستمولوجيا الغربية"<sup>1</sup> وأكد السارد على أنّ هذا الواقع الذي فرضته مركزية المستعمر لن تتجح في تحقيق مخططاتها في تركيع وإخضاع المستعمر، الذي سيتمكن من انتزاع حقه وحرّيته، فنجد إبراهيم متحدثاً عن أحد اللوحات الفنية التي رسمها بيكاسو: "لم يكن بيكاسو كولونيالياً مثل دولاكروا كان مناهضاً للاستعمار، حذف المرأة الزنجية التي رسمها الفنان الفرنسي في عمله، بل كان يردد وهو يرسم وينهي الصورة الغرائزية والشهوانية التي روج لها دولاكروا، إنّ هؤلاء النسوة سيتحررن من الصورة التي وضعها دولاكروا"<sup>2</sup>.

لقد استطاع السارد أن ينقل صورة الإقصاء التي اعتمدها الاستعمار الفرنسي بحق الجزائر، وسوء التمثيل الذي اعتمده في تصور الآخر، حيث يمثل الأول المستعمر "عالم المركز والنور، والثاني عالم الأطراف والظلام، تقاطب مبني على علاقة القوة، يتحكم فيه السيد الأبيض بسلطة التمثيل ويفرض على الآخر الأصلي حالة الإسكات، بحرمانه من حق تمثيل هويته بنفسه"<sup>3</sup>، وبالتالي استطاع المستعمر فرض نسقه من منطلق القوة والهيمنة وهو ما سمح له بالتشكل كمركزية في كل المجالات إلى جانب نسق الثورة الذي يعدّ نسقاً مركزياً في غاية الأهمية والتي سعت رواية رجل في الخمسين لتفكيكها، من خلال اللجوء لفتح ملفات بالغة الحساسية والتي تتعلّق بالثورة، التي ينظر إليها في أغلب الأحيان نظرة تعظيم وتمجيد، ولا يقبل المجتمع الجزائري توجيه أي انتقاد أو الشكّ في ثورته التي يعتز بها كثيراً، " وبقية الرواية الجزائرية تنظر لموضوع الثورة نظرة تقديس بعيدة في أغلب الأحيان عن النظرة الموضوعية والهادفة لنقد الذات، والدخول في مرحلة بناء مجتمع جديد طالما ناشد الحرّية والانعقاد من القيود والأغلال... لذلك لا بدّ من ظهور أعمال روائية تنتقد الواقع بنقد الثورة"<sup>4</sup>، وهذا ما نجده مع السارد الذي قرّر دراسة الثورة الجزائرية من زاوية نظر مختلفة ومغايرة لما هو متداول في التاريخ الرسمي للبلد، نظرة أكيد تكون بعيدة عن التقديس والتّمجيد، حيث اعتبر هذه الثورة موضوعاً قابلاً للبحث وكذلك النقد " كما أراد

<sup>1</sup> محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف"، ص 45.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 31.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 44.

<sup>4</sup> نور الدين بن نعيمة: "الرواية الجزائرية والثورة" الاز "وزمن الثورة على قداسة الثورة"، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، فعاليات اليوم الدراسي صدى الثورة في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر، المنعقد بتاريخ 2018\12\14، بقسم اللغة والأدب العربي-كلية الأدب واللغات جامعة عمار تّلجي-الأغواط، الجزائر، ص 69.

أن ينقل لنا رؤيته لتلك المرحلة التاريخية قصد تقديم تاريخ مضاد للتاريخ الرسمي الذي طالما سكتت عنه السلطة، وذلك في إطار عمل تخيلي يمكنه البوح<sup>1</sup> بكل حرية دون أن يتحمل التبعات التي قد تترتب تجاوز مثل هذه الخطوط، وبالعودة إلى الرواية نجد المحكي السردى فكك نسق الثورة، ومركزيتها من خلال حديثه عن الملفات الآتية:

النهج الذي اتبعه بعض القادة بعد نجاح الثورة والقائم على الإقصاء، حيث استمد هؤلاء الأشخاص شرعية قراراتهم من خلال الثورة، ويحتمون دوماً خلف الخطابات الوطنية، ويواجهون كل من لديه رأي مخالف بالتخوين واتهامه بالحنين لزمان الكولونيالية أو العمالة لفرنسا: " أنتم تخافون على هذا الوطن من كل مختلف، قد يقضي مضجعهم، تريدون الاستمرار نياما فيما هو جاهز، بين أحضان المعبد القديم، ولا تسعون لبناء شيء جديد"<sup>2</sup>.

إلى جانب اللجوء إلى الحديث عن مصير الأوروبيين الذين ولدوا في الجزائر، والذين يصورهم التاريخ الرسمي في أغلب الأحيان بشكل سلبي، رغم أن البعض منهم حسب ما ذهب إليه السارد في أحداث الرواية، وقفوا إلى جانب السكان الأصليين أو الأهالي وعارضوا الممارسات الكولونيالية، ليكون مصيرهم بعد الاستقلال إما القتل أو الترحيل من الجزائر وأبرز النماذج التي ذكرت في أحداث الرواية، تلك المتعلقة بمأساة الشاعر الفرنسي المولود في الجزائر "جان سيناك".

إضافة إلى إعطاء السارد قراءة جديدة للتاريخ الجزائري، وإعادة تفسير بعض الأعمال لكُتاب فرنسيين عرفوا بمساندتهم للكولونيالية وتغييبهم للأهالي في كتاباتهم، وهو ما يظهر في حديث بطل الرواية إبراهيم عن الكاتب الفرنسي المثير للجدل ألبير كامو، حيث قدّم تفسيراً جديداً لروايته الغريب واعتبرها لا تهمّش العربي بل " تلخص مأساة الكولونيالية، مأساة الإنسان الذي يصبح غريباً في أرض ليست له، كامو في روايته الغريب لم يخدم الكولونيالية، بل بالعكس انتقدها وفضحها"<sup>3</sup>.

وعمد السرد إلى إثارة قضية الطبقة البرجوازية التي همّشت وانتهكت حقوقها، رغم مشاركة هذه الفئة في الثورة لتجد نفسها قبيل الاستقلال لا تملك شيئاً، حيث انتزعت أملاك هذه الفئة وتمّ تأميمها لصالح الدولة التي تبنت النظام الاشتراكي، " ولم تقل الرواية أنّ

<sup>1</sup> نور الدين بن نعيجة: "الرواية الجزائرية والثورة" اللّاز " و زمن الثورة وقداسة الثورة، ص 70.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 74.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 77.

الخيار الاشتراكي كان جريمة في حد ذاته، بل أدانت اقترانه بالدكتاتورية، وبغياب الحرية والتعامل مع البرجوازية على أنها تهمة تقضي تصفية أصحابها "1، وهذا ما عالجه من خلال قصة جد إبراهيم الذي ينتمي إلى الطبقة البرجوازية والتي خدمت الثورة، ليجد نفسه بعد الاستقلال بلا ملكية، وعندما أقدمت الدولة على انتزاع أراضيها وتأميم قاعة السينما التي كان يمتلكها. وبالتالي حاولت أحداث الرواية أن تفكك ما أنجز عن هذه الأخطاء من اجهات، مست الاستقلال الجزائري من خلال تقنية الاسترجاع أو الفلاش باك أحيانا، والاعترافات المباشرة أحيانا أخرى."2

تتمثل القضية الأهم المتعلقة بتفكيك مركز الثورة مسألة العملاء (الحركة) الذين شاركوا إلى جانب الجيش الفرنسي في حربه ضد جبهة التحرير، وقام السارد بالتبشير على هذه الفئة عبر أحداث الرواية وبذلك تكون ضمن " قائمة النصوص السردية القليلة التي تجرأت على فتح الملفات المسكوت عنها في الثورة الجزائرية."3 وهو ما يظهر في حديث والد إبراهيم عن أحد العملاء وهو موح الطويل يقول: " رأى موح الطويل الويل خلال الحرب، ذاق منه مالم يذقه إنسان. عذبه مظلوم عقيد فرنسي مرعب لا يرحم اسمه بيجار. مارسيل بيجار"4، فموح الطويل لم يستطع تحمّل التعذيب الذي تعرّض له من قبل ضباط الجيش الفرنسي، فخارت قواه، وفي لحظة ضعف استسلم وفضح زملاءه المشاركين في الثورة "بعد أسبوع ظهر موح الطويل... بينما لم يظهر والده... كان يرتدي لباسا أزرق ويمشي رفقة دورية من المضلين... وما زاد دهشتنا حينما سمعنا أحد المضلين يردد عبر مكبر الصوت قائلا أنظروا لقد أصبح موح الطويل واحدا من".5، علينا أن ننتبه إلى أن السارد قام بتبرير العمالة، وقدم أسباب التحول إلى صفوف الاستعمار، وبعد الاستقلال وجدت هذه الفئة نفسها مجبرة على الرحيل من الجزائر والهجرة إلى فرنسا، وهناك من قرّر النزوح إلى مناطق أخرى أين لا يعرفهم أحد، خوفا من الانتقام منهم، لكن موح الطويل عبر أحداث الرواية، ظلّ في المدينة دون مغادرتها وعاش في عزلة خوفا من نظرات الناس إليه، ليكون مصيره الانتحار شنقا، دون أن يبدي سكان المدينة أي اهتمام أو حزن على نهايته المأساوية، لكن السارد امتلك الجرأة على الحديث حول قضية هذه الفئة المهمشة وإن كان في أعمال تخيلية إلا أنها استطاعت زعزعة نسق المركز (الثورة) وتفكيك خطابها

1 عبد الرزاق بوكبة: " توابل المدينة "... الثورة الجزائرية من الداخل، قناة الجزيرة، 2013\12\22، تم الاطلاع عليه

يوم: 2023/04/08 ، على الساعة 11:00

2 المرجع نفسه.

3 المرجع نفسه.

4 حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص124.

5 المصدر نفسه، ص125.

الذي كان ينظر إليه نظرة تقديس لفترة طويلة من الزمن، وجعلها موضوع قابل للنقاش والحديث عن عيوبها بكل موضوعية.

كما تشكل نسق السلطة الذي لا يمكننا الحديث عن المركز دون الإشارة إليه لأنه يعدّ واحداً من أهمّ المركزيات، والتي سعى العديد من الكُتّاب المعاصرين إلى تفكيك نسقه، خاصة لدى الدّول التي تمارس فيها السّلطة الخناق على مواطنيها، وتواجه كل معارض بالسجن والترهيب، لذا قام السّارد بفضح ممارسات السلطة السلبية، ومعالجة العديد من المسائل المتعلقة بالسياسة وحقوق الإنسان، وانتهاكات السلطة وتوجيه انتقادات لرجالها من خلال الأدب، وخاصة الرواية التي تعدّ المساحة الخصبة التي تتيح للكاتب قول ما لا يمكن قوله، والتعبير عما هو مسكوت عنه، وتكشف عن الأمور المخفية، وبالتالي تتيح له تجاوز العراقيل والقيود التي فرضت من قبل الأنظمة المستبدّة، وتعدّ السّلطة من أقدم العلاقات الاجتماعية التي طوّرها الإنسان ووقف عند قواعدها وأعرافها محترماً ومبجلاً، بحيث لا يمكن أن نتصور أي مجتمع دون أن تكون به سلطة تسوسه أيا كان نوعها: دينية، سياسية، قانونية، تقليدية (الأعراف)، كاريزماتية (فيلسوف، زعيم، بطل...) وقد عرفها "فايول" بأنّها "الحق في إصدار الأوامر والقوة وإجبار الآخرين على تنفيذها"<sup>1</sup> من هنا نتساءل كيف استطاع السّارد تفكيك النسق الثقافي المتعلق بمركزية السلطة؟.

بالرجوع إلى أحداث الرواية نجد العديد من الأنساق الثقافية المتعلقة بالسلطة، والتي حاول السّارد تفكيكها خاصة عند إشارته إلى موضوع قمع الحرّيات التي تعدّ واحدة من أهمّ ممارسات السّلطة المستبدّة لمواجهة كل من ينزاح عنها، خاصة ما تعلق بقمع النخبة المثقفة من كُتّاب وصحفيين، كل هذا جعل إبراهيم بطل الرواية يشعر باليأس حيث وجد نفسه عاجز تماماً من ممارسة مهنة الصحافة: "لم أعد أملك تلك القدرة على المقاومة والكتابة بحرية، عابراً الصحراء الذي وعدنا بالسلم، ضيق علينا مجال الحرية وراح يكتّم أصواتنا شيئاً فشيئاً"<sup>2</sup>، وينتقد البطل في هذا المقطع السّلطة بشكل واضح خاصة رئيس البلاد، وأتهمه بعدم تحقيق وعده الذي قطعته للشعب، حيث أصبح النظام يقمع المواطنين أكثر من أي وقت مضى، وذهب السّارد إلى أبعد من ذلك من خلال الحديث عن تهيش المواطنين الذين لم ينالوا حضهم من الثروة التي تملكها البلاد، والتي استحوذت عليها فئة صغيرة، تحكّم بالقوة وجعلت الشعب بعيداً عن المركز (السلطة) يعيش الولايات: "قضى هؤلاء المرحلون الجدد سنوات طويلة في أحياء القصدير، في تجمعات سكنية عشوائية

<sup>1</sup> بن عميرة زوبينة: "نسق الأنا والآخر وتمثيلا ته في رواية عزازيل ليوسف زيدان أنموذجاً"، مجلة مخبر تحليل الخطاب بجامعة مولود معمري بتزي وزو، ط1، الجزائر، 2019، ص224.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 38.

عند أطراف المدينة بلا طرقات واضحة، غير معبدة، وبلا مرافق، عاشوا وسط القاذورات المتراكمة والمياه القذرة تكونت لدى أبنائهم عقدة المهمشين والمسحوقين الذين لم ينالوا نصيبهم من الثروة التي راحت تنزل على البلاد<sup>1</sup>. وهنا يمكننا أن نقول أن الذات في تعاطيها مع السلطة الجائرة اعتبرتها غيرية ظالمة، لذا أدرجنا هذا النسق ضمن الغيرية، لذا سلط السارد الضوء على بعض الأفعال السيئة التي أقدمت عليها السلطة، فهم مستعدون في إدخال الوطن في حالة من الفوضى والتضحية بدماء الأبرياء من أجل البقاء على عرش الحكم: "لما عدت إلى البار بعد أسبوع سألت عن الرجل، فأخبرني البارمان أنه مات في انفجار شارع عميروش فحزنت على رحيله حزنا شديدا"<sup>2</sup> فالسارد يحمل السلطة مسؤولية الأوضاع الأمنية الصعبة التي مرّت بها الجزائر خلال مرحلة التسعينات التي راح ضحيتها أناس لا يهتمون بالمناصب ولا بالحكم، لكن لكي تبقى السلطة مركزا مهيمنا وقويا، فهي مستعدة لتجريب كل أشكال الترهيب والقمع، وعلى الرغم من ذلك أبي البطل الاستسلام والخضوع لنسق المركز فقرّر تحدي السلطة وفضحها من خلال الاستمرار في الكتابة:

"لم تخفني رسائل التهديد، رغم كل شيء، ناضلت وكتبت مقالاتي بلمسات أدبية، بلا اسم مستعار استعان الكثير من الصحفيين آنذاك بأسماء مستعارة خوفا على حياتهم، ولم أفعل، وضعت أفكارى التنويرية في مقالات كنت أكتبها بحرية"<sup>3</sup>، عكس بعض الأشخاص الذين رفضوا المقاومة وفضلوا الخضوع لنسق السلطة، كما وجه البطل انتقادات لهؤلاء الأشخاص: "فهمت أن هذا ما كان يروم اليه من وراء الكتابة، كان يكتب ليبقى على قيد الحياة، فسألته مجددا وماذا عن الكتاب الذين ماتوا، وهم يكتبون؟ فأجابني موتهم لا يعني أي شيء بالنسبة إلي، نهضت من مكاني مصعوقا، وغادرته"<sup>4</sup>

كما فتح السارد ملف التحول المفاجئ الذي شهدته السلطة الجزائرية بعد انتهاء الحرب الباردة، حيث انتقلت البلاد من النهج الاشتراكي القائم على الأحادية والاستبداد إلى النظام الرأسمالي وهو ما دلّ على اضطراب السلطة: "كان خميستي، حينها يعيش أكثر لحظات عمره تيهًا، وعدم قدرته على مسايرة التوجهات الجديدة للبلد، بالأخص بعد أن عاد السيد الرئيس الذي خلف العقيد المتوفى، من أمريكا محملا بمسلسل <دالاس> كهدية من رونالد ريغان ((الكوبون)) الذي أصبح رئيسا لبلاد العم صام فأحدث ثورة حقيقية غير منتظرة البتة"<sup>5</sup>، وهذا المثال يشير إلى الانتقال والتحول المفاجئ من النظام الاشتراكي

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 24.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 37.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 38.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 49.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 59.

إلى اقتصاد السوق والذي كان بإمكان تجنب إتباعه مباشرة بعد الاستقلال والذي كان يقوم على الاستبداد والقمع وكانت له انعكاسات سلبية على الجزائر.

وعليه يمكن أن نختم هذا المبحث بالقول أنّ النقد الثقافي لا يهتم فقط بالكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة وتأويلها، بل يبحث أيضا عن تلك الأنساق الثقافية الظاهرة والتي تعدّ المرحلة الأولى للبحث عن الأنساق المضمرة ثم تأويلها، كما نلاحظ أنّ الأنساق الثقافية داخل النصّ الأدبي يمكن أن تكون متعارضة مع تلك الموجودة داخل الحياة الاجتماعية، وقد استطعنا الكشف عن تلك الأنساق ومعرفة كيف تشكّلت وذلك من خلال توظيف آليات النقد الثقافي، و أكدنا على أنّ الغيرية ليست في الآخر المختلف هويّاتيا أو لغويا، و إنّما كلّ من يخالف الذات في مبادئها و كينونتها.

سنحاول في هذا المبحث التعرف على الهموم التي لها صلة بالتعايش عبر أحداث الرواية واعتمدنا في دراستنا على النقد الثقافي، بحيث سنشتغل على مسألة الأنساق والمضمر إنطلاقاً من النص والخطاب الأدبي والفني لاكتشاف تلك الأنساق وكل تورية نسقية، لمحاولة إستنتاج المغيب عنه وفكّ شفرات الخطاب، وسنعمل على فهم الأنساق التي اشتغل عليها السارد وأراد معالجتها كونها تبرز نوع العلاقة القائمة بين "الأنا" و "الغير"، ومن بين الأنساق المتعلقة بهمّ التعايش التي انشغل فيها السارد نجد نسق "التطرف" ونسق "العنصرية"، وقبل أن نفهم كيف تجلت تلك الأنساق في المحكي الروائي سنقوم أولاً بتحديد مفهوم كلّ منهما:

يعرف التطرف على أنه الغلو في عقيدة، أو فكرة، أو مذهب، أو غيره يختص به دين أو جماعة أو حزب<sup>1</sup>، و يعد من بين القضايا التي إهتم بها الأدباء المعاصرون نظراً لخطورتها وتأثيرها على المجتمعات فهي قضية حياتية يومية، بإمكانها أن تهدد وتؤثر على الأفكار والقيم والأيدولوجيا التي يسلك بها مجتمع ما، و لا يمكن الخوض فيما يتعلق بهمّ التعايش من دون المرور على هذا المصطلح .

يذكر السارد في أحداث الرواية أزمة البطل إبراهيم مع زوجته، و التّغير المفاجئ لعلاقتها التي لم تعدّ تطاق، ويذكر السبب الذي جعل إمرأته متطرفة حينما قال بأنها "جعلت كل شيء يخضع لتصورات متطرفة، كانت تستقيها من برامج تلفزيونية دينية عبر قنوات عربية، يقدمها شيوخ ملتحمون، متطرفون يكونون عداوة بينة للحياة"<sup>2</sup>، وانعكس ذلك بشكل سلبي على حياة إبراهيم الذي يحبّ الحرية عكس زوجته التي يراها متطرفة وعمّدت إلى كسرها للوحة بيكاسو، ما أثار غضبه و تصرّحه و وصفها بالمتشددة في قوله : " ( كان بيكاسو يتنبأ بالحرية، و التّحرر، و ها أنت تنغلقين في التّشدّد و التزمتم )..."<sup>3</sup> و أدرك البطل إستحالة العيش مع زوجته، حيث ذهب تطرفها إلى أبعد حدوده، بعدما طلبت منه أن يُصلي و إلا ستمنع نفسها عنه، ما دفعه إلى طلب الطلاق في قوله : " طلقها بسهولة من دون أدنى تردد، بعد أن أصبحت حياتي معها جحيماً لا يطاق "<sup>4</sup> فلعل السارد أراد أن يبرز هذا النسق الذي يتوارى وراء المحكي السردى والكشف عن تلك الضفة

<sup>1</sup> علي بن عبد العزيز بن علي الشبل: "الجزور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف"، جامعة الإمام محمد

بن سعود الإسلامية، دط، السعودية، 26 أكتوبر 2013، ص 8 .

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص28.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 32 .

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص33.

الأخرى المهمشة والمسكوت عنها، التي يخجل المجتمع في كشف وجودها، المشاكل التي تسببها التطرف الذي اقترن بالتشدد و عدم قبول الاختلاف، واستحالة الاجتماع و التعايش، فلا يمكن للتطرف أن يحيا مع التّنوير، لذا طلق إبراهيم زوجته، وعندما نحل مصدر هذا التطرف نجده عند الغير (الأخر) الذي هو خارج الحدود الجغرافية .

اقترن التطرف في رواية "رجل في الخمسين" بمجموعة من الظواهر الأخرى التي ارتبطت به ، ودلت عليه ، كالتعصب والعنف والإرهاب والجهل والظلم. فالتعصب لغة "المحاماة والمدافعة" بمعنى " أن يدعو الرجل إلى نصره عصبية" <sup>1</sup> وهذا ما يظهر في رسالة التهديد التي تلقاها إبراهيم : " «أيها النوراني الجديد ، حكمنا عليك بالقتل. ستنال جزاءك بإذن الله تعالى» " <sup>2</sup> وهنا يجتمع كل من العنف و الظلم و إرهاب الفرد وخلق الفرع في نفوس المواطنين خاصة المختلفين عنهم أيديولوجيا أو دينيا و الرفض التام لهم إلى درجة القتل .

ولعل ما أراد السارد الإشارة إليه هو أنّ التطرف ليس مسألة ثقافية فقط، وبل معرفية أيضا، و أنه لا يمكن غضّ النظر عن الجهة السياسية التي ساهمت في بناء ثقافة التطرف والتعصب ، فالتطرف مزج بين الدين و السياسة، كون المركز استغل منصبه لتوجيه الثقافة الإسلامية التي كانت مبنية على التعايش السلمي نحو الغلو والعنف والتعصب و تشويهها، خالقا حالة فوضى داخل الفرد والمجتمع لإذلالهم بالعمليات التفجيرية التي شهدتها الجزائر، وخلفت الكثير من الضحايا من بينهم الرجل الذي إلتقى به في البار " لما عدت إلى البار بعد أسبوع سألت عن الرجل، فأخبرني « البارمان » أنه مات في انفجار شارع « عميروش » ، فحزنت على رحيله حزنا شديدا" <sup>3</sup> فقد كان التطرف وسيلة للسيطرة على الشعب و قد غرسه الغير حتى يضمن تبعية الشعب له، و في نفس الوقت يمنع التعايش بين أفراد المجتمع، الذي يتكون من مؤيد ومعارض، ويحدث انقسامات حتى تسهل الهيمنة، ببت أفكار التطرف البعيدة عن الفطرة السليمة التي تأمرنا بالتعايش والاتحاد، فالتطرف يمكن أن يتوغل إلى مسلك الثقافة و التراث الاجتماعي، فيستقبله كلّ مجتمع وينقله وينشره ، وذلك ما يكبح تطور

<sup>1</sup> جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : لسان اللسان: تهذيب لسان العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1993،

ج2، ص 180.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 36.

<sup>3</sup> حميد عبد القادر: رجل في الخمسين، ص37.

مجتمع ما، و يعمّ الجهل و الركود الفكري فيه، و ينعدم ضوء المعرفة فيه ما يسبب خلل في قيمه الذي ويغيب عنه قيم الأخلاق و المحبة و التعاون التي أمر به الله عز و جلّ، و يحل مكانها الخراب و الكراهية و الغلو.

ذكر السارد أمثلة أخرى ليستحضر بعض الأحداث المتعلقة بالتطّرف الديني في الزمن القديم و ذلك بذكره لأسماء معروفة في التاريخ مثل الراهب توماس دي توركيمادا المحقّق العام في محاكم التفتيش، الذي طارد سيدي فرج، حيث قال عنه : " و تخرب ضريح سيد المكان «سيدي فرج» ، الذي فر من محاكم التفتيش، و من الراهب توماس دي توركيمادا الفضيع المتعطش لدماء المسلمين، بعد أن شرب من دم اليهود قبلهم"<sup>1</sup>، فعبر عن الحالة التي أصبحت عليها الأندلس بسبب غياب التعايش السلمي فيها، حيث وصفها ب "الأندلس الجريحة"<sup>2</sup> ، تعبيرا عن الحالة الفوضاوية و غياب السلم فيها، و القمع الذي تمّ ممارسته على اليهود و المسلمين في القرن الخامس عشر ميلادي، فلجؤ السارد إلى الأزمنة العتيقة هو توسّع في هذا النسق بذكر دور العوامل السياسية، التي أنتجت و ساهمت فيه، و خلف ذلك تتوارى العوامل الاجتماعية و التاريخية التي أثرت على إبراهيم و التي دفعته الى استذكار هذه الأحداث و الأشخاص الذين أصبحوا رموزا للتطّرف.

و عبر أحداث الرواية واجه إبراهيم في نقاشه مع مصطفى و عبد الحفيظ نوعاً من التطّرف و هو التطّرف الفكري عندما سمع منهم عن قافلة مجموعة من المثقفين رفقة كُتاب فرنسيين يحتفلون بالذكرى المئوية الأولى لميلاد ألبير كامي التي أرادوا منعها، و لكن إبراهيم عارض رأيهم و لم يكن متّفقا معهم وفي قوله "و السّماح للقافلة بالمجيء، ليس خيانة"<sup>3</sup>، أراد أن يوضح له أن منطق التخوين لا يطبق على أحد بمجرد سماحه لقافلة ركاب فرنسيين بالمجيء، و أنهم "جيل يريد التفاعل مع العالم من حوله. جيل يرفض خطاب التخوين"<sup>4</sup> و يفتح على المختلف، و نحو آفاق جديدة لعلها تقودهم إلى حياة أفضل و مجتمع متفاهم و متحد مبني على التعايش و الاحترام و قبول الاختلاف و استثماره للازدهار و التّقدم، فهل هذه الأحداث تنقل لنا الأنساق المخاتلة التي نرى فيها سمة التعايش لكن وراءها تنصيع صورة الغرب؟.

1 حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 45.

2 المصدر نفسه، نفس الصفحة.

3 المصدر نفسه، صفحة 73.

4 المصدر نفسه، صفحة 74.

لقد كان ردّ إبراهيم على السيد الذي قال لهم " أنتم جيل بلا وعي" <sup>1</sup> ذكرٌ لبعض الطّرق التي يمارس بها ذلك التّطرف الفكري وهذا النّسق الواهي الذي تمتد جذوره إلى نقاط عميقة أراد السّارد الحفر لاستظهارها، لعله بذلك يريد القول أن: " الثقافة المتطرّفة تنظر إلى الآخر بكلّ أصنافه نظرة خوف وتردد وتشكك وتحقير واستهزاء" <sup>2</sup>، فكان ردّ البطل: "أنتم تخافون على هذا الوطن من كل مختلف، قد يقض مضجعكم" <sup>3</sup>، و هذه إشارة إلى التّحقير والخوف الذي يكّنه العجوز و أنّ وصفه إياهم بالجهل هو مجرد وهم ينشر ويوظف لأغراض شخصية و أيديولوجية أو عقائدية " طالما أن المتطرّف يلبس عقيدته أو مذهبه أو موقفه كل صفات الحق و الكمال، و من ثمّ يخلع هذه الصفات عن من يخالفه في موقفه أو معتقده" <sup>4</sup>، فيولد التطرف بدوره الكراهية و تطبيق منطق التخوين مع كل من يريد الإنفتاح على الآخر، ورفض التعايش مع الآخر المختلف، لذلك أشار المحكي السردى الى قصة المؤلف والفيلسوف الفرنسي جان سيناك الذي أراد التعايش السلمى "كان يدعو إلى تعايش جنسين متصارعين هما الأوروبيون والسكان الأصليون، لكنه سرعان ما أدرك أن هذه اليوتوبيا مستحيلة" <sup>5</sup>، و ذلك لتصحيح ما كان يعتقد به عنه، وذلك بسبب كونه لم يساند الثورة و في نفس الوقت كونه وقف إلى جانب السكان الأصليين والمضطهدين من قبل الاستعمار، ما أدخله في مأساة حيث " أصبح منبوذا من كلا الطرفين، من الأهالي لأنه لم يساند الثورة، ومن الأقدام السوداء لأنه دعا إلى تفهم السكان الأصليين" <sup>6</sup>، وتعرض بسبب موقفه إلى عواقب وخيمة من الطرفين.

ربطت الأحداث السردية بين التّطرف الممارس من قبل نظام الاستعمار بالكراهية واللامساواة التي وجهت لكل السكان، ليس فقط الأصليين ولكن الأوروبيين الذين أتوا بحثا عن لقمة عيش "كانوا عمالا وموظفين، مهجرين وعلى حافة الفقر مثل الأهالي تماما" <sup>7</sup>، لعله أراد بذلك أن يبرز الفرق بين النظام الإستعماري المتطرّف والإنسان الأوروبي البسيط الذي جاء من أجل حياة أفضل، و أراد أن يضع أصبعه على المصدر الحقيقي لذلك الظلم الذي يعيشه الانسان الجزائري والأوروبي البسيط على حد سواء ليصحح الفكرة النظرة الخاطئة التي يرى بها البعض صورة الأوروبي .

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 74.

<sup>2</sup> علي بن مبارك: التطرف الديني من منظور ثقافي، الموقع الالكتروني لمؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، 25 مارس 2015، استشير يوم 01 ماي 2023 على الساعة 10:00 #التطرف-الديني-من-منظور-ثقافي-2624/ <https://www.mominoun.com/article> بالتصرف.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 74

<sup>4</sup> راشد المبارك: التطرف خبر عالمي، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، 2006 ص 26.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 76.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 77.

<sup>7</sup> المصدر نفسه، ص 80.

لذا ذكر إبراهيم التّطرف الذي عانى منه من قبل مثقفين كبار كانوا ضد كامي ما أفضل مهمة إظهار الوجه الحقيقي لكامي والكولونيالية "برزت عقلية إقصائية مقيبة"<sup>1</sup>، وحملهم مسؤولية إنتاجهم لسلوكيات متطرّفة.

كما تناولت أحداث الرواية ظاهرة العنصرية التي تعني الاعتقاد بأن هناك اختلافات وعناصر موروثية من براعة الأفراد أو قدراتهم وانتمائهم إلى جماعة أو عرق"<sup>2</sup>. ومن بين المسائل التي أراد السارد معالجتها في أحداث الرواية نجد مشكل العنصرية الذي يعدّ من المعوّقات التي تمنع الأفراد والمجتمعات من التّعايش معاً، و سبب من أسباب تفرقة الشعوب وعداوتهم لبعضهم البعض، و يأخذنا إلى معرفة كيف تجلّى وتطوّر وانتقل هذا النسق في بنية الرواية إلى فترة ما بعد الكولونيالية.

يحكي البطل إبراهيم في نقاشه الذي دار مع مصطفى حول مسألة غياب الأهالي في رواية كامي و التي حاول فيها تبرير ما فعله هذا الأخير على أنه إدانة للاستعمار الفرنسي: "نجده يغيب العرب، وذلك أمر مقصود منه، لأن الكولونيالية غيّبت العرب في حساباتها"<sup>3</sup>، فإبراهيم يؤيد ما فعله كامي على أنه مضاد للاستعمار "فجاء أدب كامي انعكاساً لهذه العقلية الإقصائية لا غير"<sup>4</sup>. و وقف إلى جانب الفئة المهمّشة التي عانت من عنصرية الطبقات الغنية والمُلاك الفرنسيين، و من نظام قائم على الظلم، واللامساواة والتمييز العنصري، و يذكر إبراهيم في نقاشه مع زميله مصطفى، مسألة محاكمة (( ميرصو )) الذي قتل العربي على الشاطئ، ليظهر بذلك عنصرية الاستعمار الفرنسي في قوله " ألا ترى معي يا مصطفى، أن عدم التركيز على جريمة قتل العربي أثناء محاكمة ميرصو يعد بمثابة اعتراف صارخ بعنصرية النظام القضائي الفرنسي في المستعمرات ..."<sup>5</sup>، ما أراد إبراهيم أن يقوله هو أن حياة الأندجاني أقل قيمة من حياة المستوطن، فهو فضح للتمييز العنصري القائم على "تقسيم البشر إلى مجموعات بيولوجية منفصلة، وتفريقها على أساس السمات الجسدية الموروثة، أو السمات الشخصية، أو الذكاء، أو الأخلاق،

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 80 .

<sup>2</sup> ليلي جبريل: " ما هو تعريف العنصرية "، الموقع التعليمي الشامل ملزمتي، 30 ديسمبر 2021، استشير يوم 01 ماي

2023 على الساعة 11:29 . <https://www.mlzamy.com/definition-racism>

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 78.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 79.

وغيرها من السمات الثقافية والسلوكية واعتبار أن بعض الأجناس متفوقة على الأخرى.<sup>1</sup> وهذا ما عانت منه المستوطنات حسب السارد من تقسيم وجور وتهميش.

واستحضر ابراهيم أثناء كتابته برأفة لسيناريو ((أغليد الأمازيغ)) ملك من ملوك الأمازيغ وهو "أكسيل"، حقيقة الإسم الذي أطلق عليه كسيلة، فيرى أن هذا الإسم إحتقار للملك من قبل بعض المؤرخين "و قد أصبح ((كسيلة))، تصغيراً و تحقيراً من بعض المؤرخين"<sup>2</sup>، فابراهيم يحمل المسؤولية لبعض المؤرخين بعدم نقل التاريخ، و طمسهم وتهميشهم لشخصيات و تحقيرها إلى جانب العنصرية التي يمارسونها اتجاهها وتعمدوا نسيانها لأغراض تخدم سياستهم الشخصية، فالتميز العنصري سياسة ترسو في الذات التي تستقبلها وهنا يبرز السارد من خلال خطابه نموذجاً من " الأفعال والمعتقدات التي تقلل من شأن شخص ما كونه ينتمي لعرق أو لدين أو لجنس مختلف"<sup>3</sup>، كالتغيير لأسماء الشخصيات للتقليل من قيمتهم وتصغيرهم كونها تختلف عرقياً أو دينياً عن الآخرين، و طمس تاريخها وتغييبه عن أنظار الناس، فالتورية التي وظفها السارد تهدف إلى افهام القارئ بوجود حالة عنصرية.

كما ذكر السارد صوت طارق ابن زياد باسمه الحقيقي ((طارق آث زياد))، ليشير بذلك إلى الشكوك التي أثرت حول نسبه من قبل المؤرخين مثل أنصار موسى بن نصير، أن التقليل من شأن طارق بن زياد هو تقليل من شأن الأمازيغ "و أنا متأكد من شيء واحد، أن طارق هذا أمازيغي، و إسمه الحقيقي ((طارق آث زياد))، بيد أن أنصار موسى بن نصير، من المؤرخين اللاحقين، هم من أرادوا إثارة هذه الشكوك حول نسبه للتقليل من شأنه ومن شأن الأمازيغ"<sup>4</sup>، فقد أراد يصحح التاريخ الذي يراه مزيفاً، ويفضح الموقف العنصري الذي اتخذته بعض المؤرخين اتجاه الأمازيغ للتقليل من شأنهم، وذكر فضلهم في فتح بلاد القوط و تأسيسهم للأندلس الحضارة الراقية بقوله : "الذين فتحوا بلاد القوط، وأطلقوا عليها تسمية الأندلس، و أسسوا فيها حضارة راقية، تعايش بين ظهراניהا القوط، واليهود، والمسلمون، والعرب وأجناس أخرى وديانات مختلفة، من إسلام ويهودية ومسيحية"<sup>5</sup>، والتي بنيت على أساس التعايش و قبول الاختلاف، ليبين أن تلك

<sup>1</sup> هديل تيسير شراري: "ما هو مفهوم التمييز العنصري"، الموقع العربي موضوع، افريل 2022، استشير يوم 01 ماي 2023 على الساعة 12:55 <https://mawdoo3.com/>

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين ص، 87.

<sup>3</sup> موسوعة معرفة: العنصرية، استشير يوم : 06 ماي 2023 على الساعة 13:43، رابط الموقع :

<https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%B9%D9%86%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9>

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 102.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الإختلافات ليست هماً أو مانعا للتعايش و بناء حضارة مزدهرة، وأن المانع هو العنصرية والتمييز الذي يحدث الانقسامات، و لعلّ رجوع إبراهيم إلى التاريخ الماضي هو بمثابة ضربة فأس على جذر تلك الشجرة التي أنتجت ثمار العنصرية بمراجعة التاريخ والنش فيه لاستخراج ما قبر فيه، فاللجوء إلى العوامل التاريخية و الاجتماعية و السياسية هو مساعدة لفهم كيفية تشكّل هذا النسق و اكتماله كقطع الأحجية المجمعّة.

وتحدّث عبر محكي الرواية عن الشّاعر جاك سيناك الذي سعى إلى مجتمع متعدّد يقوم على التّعايش "وراح يحلم بأمة متعدّدة"<sup>1</sup>، والذي أراد ميلاد بلد متفتّح وحرّ من الكولون بحيث ساند الثّورة، و راح ضحية رفاقه الذين همّشوه بعد رحيل الكولون، و تبنوا أفكار جديدة متشعبة بالعنصرية و التّعصّب " فالأشقاء تغيروا بمجرد أن استعادوا حريتهم، وبلدهم المنهوب، استوطنت بعضهم أفكار جديدة، و تعالت أصوات تنادي للانتماء للدين والعرق، و ليس للمواطنة"<sup>2</sup>. و هذا ما صورّه السّارد من واقع أخذ منعطفا عكس تصوّر جاك سيناك الذي أقلق أصحاب التّوجّه الواحد الذي يقصي كل مختلف و يلغي كل ما له علاقة بالمواطنة، فالانتماء للعرق هو وسيلة التّمييز العنصري و إقصاء كل حركة مغايرة لذلك الاتجاه الذي يدعو إلى الأحادية و تهميش المختلف، فالمواطنة يمكنها أن تحوي أفراد و أقليات مختلفة ثقافيا و دينيا عكس الانتماء إلى عرق و دين الذي يعتبر إقصاءاً للمختلف، فالعنصرية هي النسق المتواري حول هذا الخطاب و تلك الاصوات التي كانت تنادي للانتماء للجهة الواحدة و عدم قبول الاختلاف، تمثّل الخطر على الهويّة .

و تذكّر إبراهيم حادثة رحيل السيّدة غاستون، و ما ذكره بمأساة الأوروبيين البسطاء المولودين في بلد الجزائر " هؤلاء الأوروبيين الذين أجبروا على مغادرة بلد ولدوا فيه"<sup>3</sup>، و لعلّ السّارد يريد أن يوجه الانتباه إلى المشكل الذي أفسد التّعايش، والذي كان قائما بين الأوروبيين البسطاء والأهالي، وكأنّه يريد أن يشير إلى منبع، وهو مختلق تلك الممارسات العنصرية التي راح ضحيتها أناس بسطاء أحبوا بلدهم مثلما أحبته الأهالي، وفي كلامه يصف تلك الحالة المستقرة والسّلم الذي كان سائدا بين الأهالي والأوروبيين الذين كانوا يجاورونهم، وأن الأهالي ليسوا هم السبب في ترحيلهم، و بذلك يشير إلى المركز الذي مارس نفس عنصرية المستعمر، فالنسق الظاهر هنا المتمثل في التعايش ما هو إلا إشارة إلى وجود نسق مضمر مضاد وهو نسق العنصرية، فذكر مثالا عن التّعايش حتى يعالج مشاكل العنصرية، لكننا نتساءل هل فكرة التّعايش صافية، أليست هي الوجه الآخر لتلميع

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين ، ص114.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 116.

الاستعمار؟.

لذا ذكر السارد التضامن مع السيدة إيميلي وحضور أهل المنطقة لجنائزتها "كنت عائدا من الشاطئ، لمحت بعض سكان الحي، من بينهم والدي، قد تجمعوا عند مدخل منزلها ..."<sup>1</sup>، فأعطى إبراهيم صورة تصحيحية عن حالة الأهالي و الأوروبيين العاديين المتحدين، وبنى صورة قبول الآخر، رغم اختلاف عرقه و معتقده لم يعترض عليه في شعائره. و هذا ما يظهر في كلام ابراهيم عن الحاج بشير بن عودة الذي اشترى الكتاب المقدس " و اشترى إنجيلا. لما عاد عند الظهيرة، راح يقرأ لها بعض نصوصه، بدون أن يبدي أي من أهل الحي اعتراضه على قراءة كتاب مقدس غير القرآن الكريم"<sup>2</sup>، و من خلال ذلك يظهر عدم وجود مشكلة في الانفتاح على الآخر واحترام كتابه المقدس فغياب تلك " العنصرية الدينية أو التعصب الديني، مصطلح لوصف التمييز على أساس الدين هو إما بدافع التعصب المرء الخاصة المعتقدات الدينية أو التعصب ضد الآخ ر، أو معتقداتهم الدينية أو الممارسات"<sup>3</sup>، جعل التعايش والرفق بين الأفراد ممكنا غلب فيها مبدأ المواطنة و الأخوة الإنسانية و محبة الغير على مبدأ الانتماء و التمييز العرقي.

يذكر ابراهيم طبيعة تلك العلاقة الوطيدة التي كانت قائمة بين الأجنب و الأهالي فنذكر مثال عن الكونتيسة التي تعايشت معهم "و قاسمتهم الحلو و المر"<sup>4</sup>، مبينا تلك القرابة التي كانت بينهم بعيدا عن الفصل العنصري، أي عزل جماعات من الناس بالقانون أو بالعرف، على أساس الاختلاف في الدين أو الجنس أو العرق أو الثروة أو الثقافة أو غير ذلك.<sup>5</sup> ولعل ذكر السارد لهذه المقاطع التي يستحضر فيها إبراهيم لتلك الحياة التي ساد فيها التعايش ما هي إلا تسليط للضوء على السبب الأساسي الذي يناهض مبدأ التعايش بممارسته للعنصرية والذي أجبر جماعات أوروبية كانت تعيش مع أناس بسطاء مثلها على الرحيل، و يمثل ذلك إجحافا في حقها. وفي ختام هذا المبحث يمكن أن نقول من خلال توضيف

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين ، ص 117.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 118.

<sup>3</sup> موسوعة معرفة: "عنصرية دينية"، استشير يوم: 06 ماي 2023 على الساعة 15:28، رابط الموقع:

<https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%B9%D9%86%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9> بتصرف

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 118.

<sup>5</sup> ينظر، "معرفة": "التمييز العنصري السياسي"، استشير يوم: 06 ماي 2023 على الساعة 16:00، رابط الموقع:

[https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%B9%D9%86%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A9%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%85%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A9%D8%B1%D9%82%D9%8A%D8%A9](https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%B9%D9%86%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A9%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%85%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A9%D8%B1%D9%82%D9%8A%D8%A9)

النقد الثقافيّ كيف تسلسلت هذه الأنساق، سواء التي كانت مضمرة أو معلنة وكيف انتقلت بترتيب عبر الفترات التي ذكرها السارد إلى مرحلة ما بعد الكولونيالية التي وضع حميد عبد القادر أصبعه عليها لمعالجتها بتوظيف أنساق سواء كانت أنساق معلنة أو أنساق مضمرة، سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة.

عمد السارد إلى تفكيك النسق الأنثوي كما أعاد تمثيل الآخر المتمثل في صورة المرأة الغربية في البنية السردية الروائية خاصة تشخيصه للعلاقة الموجودة بين ثنائية الرجل العربي والمرأة الغربية وهو ما تكشف عنه البنية الحوارية التي جمعت بين موسى سيد أعلي والبطل إبراهيم، والتي تلخص قصة حب في الجزائر أثناء الثورة التحريرية، بين شاب جزائري يدعى موسى سيد أعلي وفرانسواز فيدال فتاة فرنسية، موسى كان يشتغل عند خياط يهودي يدعى ليفي بن سعيد، وهناك تعرّف الشاب موسى على الفتاة الفرنسية: "تعرفت على فرانسواز فيدال عند ليفي بن سعيد، اليهودي الطيب الذي كنت أعمل عنده، دخلت محل الخياطة لكي تفصل بذلة لوالدها المقعد"<sup>1</sup>. منذ تلك اللحظة بدأ موسى يهتم بأمر تلك الفتاة الفرنسية التي كانت تجذبه حتى وقع في حبها: "شدتني منذ أن رأيتها لأول مرة، وشجعتني على الاقتراب منها بنظرة امرأة لعوب"<sup>2</sup>. ومع مرور الوقت بدأت العلاقة تنمو بين الطرفين كغيرها من قصص الحب ف"تنمو هذه العلاقة بشكل طبيعي مفعم بالحب والشفافية والألفة، لكن مع مرور الشهور، وبفعل قانون الرتابة، يتعرض مسار العلاقة لبعض التوتّرات والفجوات، حيث تطفو على سطح العلاقة بعض الاختلافات التي تم ارجاؤها في غمرة نشوة الحب ودهشة الاعجاب. تتطور هذه الاختلافات وتقع القطيعة أحيانا بينهما، ورغم محاولات ترميم العلاقة من طرفهما، إلا أنها تنتهي الى الفراق"<sup>3</sup>.

ففي بداية العلاقة يتحدّى موسى مختلف العقبات التي تحول بينه وبين تحقيق هدفه في كسب حب فرانسواز فيدال، فكان نقيضاً لأخيه الأكبر (عزوز) الذي التحق بالثورة كغيره من الشباب الجزائريين المتعطّشين للحرية، وكان موسى غير مهتم بالثورة: "لما قامت الثورة التحق أخي عزوز بالجبل، حاملاً السلاح ضد الاستعمار، انفصل عن الزعيم، وانظّم الى جماعة المجاهدين، أما أنا، فكنت بين أحضان فرانسواز فيدال"<sup>4</sup>. فعلى نقيض النسق السائد المتعلّق بالثورة والذي من المفترض أن يصوّر الآخر الفرنسي على أنه عدوّ توجّب محاربتة والوقوف إلى جانب القضية الوطنية (ممثلة في الثورة) رفض موسى هذه المعادلة وخرج من هذا النسق، ونلاحظ أيضاً أن " المحكي في الرواية يكسر هذه المسافة، ويعيش تجربته العاطفية متحرراً من تواريخ الكولونيالية، ويتحرر السرد من ثقل التاريخ

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص65.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 66.

<sup>3</sup> محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية الى سياسات الاختلاف، ص110.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 66.

غير محكوم بسطوة النسق"<sup>1</sup>، ومن خلال هذا المحكي السردي تظهر لنا صورة المرأة الغربية حسب تصور السارد الذي يرى أنّ الوقوع في حبها يؤدي بصاحبه إلى الهلاك فما "هو متفق عليه في الثقافة العربية من منظور اجتماعي هو أن كل ما تعلق بالمرأة يخضع للسلبية، حيث يلصق بالمرأة كل الآفات والمظاهر الاجتماعية السلبية التي تصيب المجتمع، وكأنّها مصدر الشرور ومنبت الآثام. وهو موقف سلبي يترجمه موقف المجتمع من العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة بحيث يوصف حب الرجل للمرأة بأنّه ضرب من الجنون وحالة من حالات الهدم الذاتي"<sup>2</sup>.

وبالعودة إلى الأحداث السردية للرواية يمكننا أن نستأنس بالعديد من النماذج التي تعبّر عن النتائج المترتبة من حبّ المرأة الفرنسية، كقول موسى سيد أعلي: "عشقت "فرانسواز فيدال"، فعبدت بنفسي طريق الهلاك أمامي"<sup>3</sup>، وفي موضع آخر نجده يقول وهو يحدث إبراهيم: "غرقت في الوحل، ولم يكن بحوزتي أي امكانية للخلاص، عشق الفرنسية هلاك"<sup>4</sup>، وكغيره من النصوص السردية التي تقوم على تفكيك الكولونيالية أتجه السارد إلى وصف الآخر (الأنوثة الغيرية) تصويراً جنسياً فنتحوّل العلاقة "مع الغرب إلى علاقة جنسية، تقوم بتأنيث الغرب في مقابل ذكورة الشرق على قاعدة التفوق الجنسي للرجل الشرقي الفحل"<sup>5</sup>.

لجأ السارد إلى تفكيك الخطاب الكولونيالي من خلال اللجوء الى تصوير المرأة الغربية كمادة جنسية يتحكم بها الرجل الشرقي: "يستولي علي الامتغاض لما أسمع سيدة أوروبية تقول لابنها الصغير الجالس أمامها وهو يبكي: "أصمت أو يأتي عربي، ويأكلك" ولكني كنت أنسى هذه الحماقات بسرعة، وأكاد أنسى أنني أندجان وأنا أشتم رائحة الأوروبيات الجميلات، اليافعات وهن واقفات أمامي، بعطورهن المثيرة للغريزة الجنسية"<sup>6</sup>. وبالتالي قدّم السارد المرأة الغربية كمادة للاغواء تثير إعجاب الرّجل العربي وتجذبه إليه بفضل جمالها، ولا نستغرب أنّ العديد من الأعمال الروائية المعاصرة تلجأ إلى الحديث عن المرأة

<sup>1</sup> محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ص112.

<sup>2</sup> سعاد بولحواش: "الأنساق الثقافية في رواية يوميات في بلاد القبائل لمولود فرعون"، ص 204.

<sup>3</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص63.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص66.

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص112.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص65.

الغربية، وتركز على مدى تأثير جمالها في البطل مثل رواية موسم الهجرة إلى الشمال للروائي الطيب صالح التي تدور أحداثها في المهجر.

وتزداد الأحداث السردية تآزماً بعد استقلال البلاد حيث "أخذت فرانسواز حقيبتها ورحلت. مع آلاف الرّاحلين"<sup>1</sup>، وبقي موسى وحيدا حيث تلاشت آمال تحقق تعايش بين الأوروبيين والأهالي، وبالتالي أراد السارد أن يخبرنا أن حبّ (المرأة الغربية) سيؤدّي بصاحبه إلى الندم في النهاية، ويضعه في موضع الاربك والتشويش: "والغريب أن ظروف الحرب كانت تجعلها تبدي شراهة للذة. تطلب المزيد من الجنس، كل يوم تقريبا، وأنا كنت ألبى طلباتها، غير مكترث بمن كان يموت ويسقط في المعارك في المدن أو في الجبال، وبقيت عند فرانسواز الى أن انتهت الحرب"<sup>2</sup>.

لم يكثر موسى للقضية الوطنية التي اجتمع عليها الجزائريون المتمثلة في استرجاع الحرية وانهاء عهد الاستعمار، بل انشغل في إرضاء حبيبته الفرنسية جسدياً، غير مبالي بالناس الذين صعدوا للجبل من أجل القتال، وهذا ما جعل علاقته مع أخيه عزوز تتأزم وتصل لحد القطيعة: "أنا في طريق وأنت في طريق أخرى، يا واحد لمتورني، وكان يعني أنني انسخت عن انتمائي، وتحولت إلى متورني أي فرنسي"<sup>3</sup>. وبالتالي تظهر صورة المرأة الغربية سلبية حسب وجهة نظر السارد لكونها تدفع بالرجل إلى الانسلاخ عن انتمائه، ويقدم مصلحته الشخصية على حساب مصلحة الجميع وهذا أمر يعاب عليه في مجتمعنا، كما تجعل الرجل مجرد أداة لاشباع رغباتها، وعند تحقق ذلك لن تتردد في الرحيل وترك شريكها حبيس ذكرياتها، "وبالمختصر حبيس الزمن الكولونيالي، نعم زمن فرنسا"<sup>4</sup>، وما يثير الاهتمام في هذا المحكي السردية كيف حاول السارد تفكيك نسق الأنوثة الغربية "فمن البديهي أن تدخل عدة عوامل في نشوء صورة معينة عن المرأة، بالنسبة لكبار الفلاسفة والأدباء والمفكرين، وهذه البديهية ليست مستقاة من كون النساء بالفعل مشتركات في كافة الصفات والأخلاقيات بحيث يتم تقديمهن في قوالب محددة، ومن ثم تعميم تلك الصور كحقائق تتصف بها كل النساء، وأنما لدوران عوامل نشوء تلك الصور حول المفكر أو الأديب نفسه"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص67.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص66-67.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص63.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص68.

<sup>5</sup> وضحي بن سيف الجهوري: "المرأة في كتابات عدد من المفكرين"، قناة الحوار المتمدن، 8 ماي 2010، لندن.

انقلبت المعادلة في هذا المحكي السردى حيث حدث تغيير أو تبادل للأدوار بين نسق المرأة ونسق الرجل، فكثيراً ما كانت الأحداث السردية التي تتناول ثنائية الرجل \ المرأة كانت تصور الرجل على أنه يمثل المركز والمهيمن، أما المرأة فكانت تمثل الهامش والضحية، لكن السارد جعل الرجل في الرواية هو ضحية للمرأة التي أحبها لذا علينا أن ننتبه إلى سياسة التمثيل ف"هذا القلب في الموضوع، يترتب عنه بالضرورة قلب في سياسات التمثيل"<sup>1</sup>.

ففي المرحلة الجديدة من حياة موسى سيد أعلي، والتي بدأت برحيل الاستعمار الفرنسي من الجزائر، تبدأ معاناته حيث اضطرت فرانسواز إلى الرحيل كغيرها من المستوطنين نحو فرنسا، وتركته وحيدا بعد رفضه طلب المغادرة إلى فرنسا للعيش معها، واتخاذ قرار البقاء في الجزائر، ليجد اسمه تم إدراجه في القائمة السوداء مع أنصار الحنين للزمن الكولونيالي لكوته عجز عن التخلص من تلك الذكريات التي عاشها مع حبيبته الفرنسية، "فذلك الزمن لم يكن يسمح ببروز أمر اسمه تاريخ الفرد، في بلد اختار الجماعة وأصبح يعمل من أجلها متجاهلا الناس كأفراد"<sup>2</sup>.

يقدم متخيل النص العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة من خلال نموذج (موسى وفيدال) في صورة معقولة قريبة إلى التجربة الواقعية، كما تكشف عن طبيعة الحب في قلب علاقات الهيمنة بين الطرفين، ويصبح النفوذ السحري يمارس على الرجل أيضا<sup>3</sup>، و هنا يمكننا أن نتحدث عن الصراع بين الرغبة الخاصة وإكراهات الغيرية لأن المرأة الغربية رغم جمالها، فهي تمثل هوية المغايرة و"الأخر" المختلف، وعندما يسلب الضوء على صورة المرأة العربية داخل محكي الرواية سنكتشف اغتراب هذه المرأة داخل مجتمعها الذي ينظر إليها في أغلب الأحيان نظرة إحتقار وجعلها تقبع في الهامش خاصة المرأة العاقر التي إستحضرها السارد داخل عمله الروائي.

سنحاول أن نفهم كيف أشار السارد من خلال البنية النصية إلى الصفة الأخرى من نسق الأنثى، وهي المرأة العربية وذلك بالاعتماد على الدراسات الثقافية وعناصر أخرى، بهدف إستنطاق المغيب في الرواية، وسنعمل في هذا المحكي السردى على فكّ شفرات

<sup>1</sup> محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية الى سياسات الاختلاف، ص117-118.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 68 .

<sup>3</sup> ينظر المرجع السابق، ص121.

النّصّ، وتسليط الضّوء على الكيفيّة التي اشتغل بها السّارد وأراد معالجتها، كونها تبرز طبيعة العلاقة القائمة بين هذه "الذّات" و"الغير".

يصوّر لنا السّارد من خلال أحداث خطابه السّردي وجه هذا الوجود الذي تمّ تغييبه لفترة طويلة، وبخصوص المرأة العربية التي تعد جزءاً من المجتمع، لأنّ "وحدة الوجود البشري يكشف عن نفسها عبر وجهين: وجه ذكري وآخر أنثوي" <sup>1</sup>، وأخذ كمثال الزوجة نسيمه الغمري التي تعرف عليها البطل إبراهيم قائلاً: "تعرفت على زوجتي نسيمه الغمري (ابنة العربي الغمري، وهو كاتب شيوعي في مرحلة الشباب. أصبح قومياً عربياً، ثم إسلامياً بعد السبعين." <sup>2</sup> ومن خلال هذا المحكي السّردي يكشف لنا السّارد عن ذلك المجتمع الذكوري "الذي تقضي ثقافته بجعل السّيطرة والسّلطة بين أيدي كبير العائلة أو الجماعة القرابيّة. والاعتقاد بتفوق الرّجل بدنيّاً واجتماعيّاً androcracy وبانخفاض مركز المرأة وطبقاً لهذا النّظام ينتسب الأولاد للأب patrilineal وتقيم الزّوجة حيث يوجد مسكن الزّوج patrilocal ويحمل الأولاد اسم الأب. patronymy" <sup>3</sup>، وهذا ما أراد السّارد الإشارة إليه من خلال ذكر والد نسيمه، فمعروف أن الرجل في المجتمع العربي هو رأس البيت و رأس العائلة، كل شيء يخضع لإرادته.

و لعل السّارد يسعى إلى تطير ذلك النسق المتوارى وراء إنساب الشخصية نسيمه إلى والدها وحملها لقبه "(ابنة العربي الغمري...)" <sup>4</sup>، وكأنه بمناداتها بلقب أبيها يصرح عن تلك الثقافة السائدة التي تحصر مكانة المرأة العربية في حيز ذلك النظام البطرقي الأبوي فمناداتها باسم أبيها هو تغييب للوجه الأنثوي وتهميشاً له، كان يمكنه أن يكتفي باسمها الذي ينقل هويتها كما سعى السّارد من خلال محكيه إلى توضيح ما يشغل تلك الأنثى في المجتمع العربي والتي تبحث عن ماهيتها، وتسعى للاستقرار في حياتها، خاصة حياتها الزوجية: "اكثرينا أنا وزوجتي شقة من غرفتين في ((غيو فيل))، و خططنا لحياة سعيدة" <sup>5</sup>، فالثقافة السائدة في المجتمع ثقافة مقترنة بالدين، وهي التي نصّت على الزّواج، التي غرست في الأنثى هذا الواقع وربّتها من صغرها على تهيئة كيانها لهذه المنظومة.

<sup>1</sup> سميرة عبده: المرأة العربية بين التحرر والتخلف، دار الأفق الجديدة، ط1، بيروت، 1980، ص8.

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص21.

<sup>3</sup> بدوي أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيّة، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1982، ص307.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص21.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لعل الخطاب السردى الذي يوجهه السارد ناتج عن تلك الثقافة التي ترعرع فيها وشهدها لكنه يحاول أن يتملص من إكراهاتها، ويرى المرأة تلك الكينونة الأنثوية التي تعاني من نظرة المجتمع السلبية إليها، فتصبح منبوذة عندما تعجز عن الانجاب ف" تبقى المرأة العقيمة محاطة بنظرات الاضطهاد ويعتبرها المحيطون بها إنسانة ناقصة"<sup>1</sup> ما يؤدي بها إلى الانغلاق و عزل نفسها عن الآخرين، و حدوث أزمات، و هذا ما نقله لنا السارد في كلامه عن ذات المرأة المتألمة كونها عقيمة: "سرعان ما ساءت أحوالنا الزوجية، بعدما تأكدت أنها لن تنجب. تفحصها عدة أطباء، و جربت حتى الوصفات التقليدية، لكن لا شيء نتج عنه ما يسعدها، و يحقق حلمها، فصعقت، و حزنت كثير"<sup>2</sup>، و بذلك أراد أن يضع أصبعه على تلك العقدة الثقافية التي تعاني منها المرأة العربية، والتي تسحبها إلى أعماق عزلتها إلى درجة قطع صلتها بمحيطها وهذا ما يظهر في قول السارد: "كفت عن زيارة أقاربها. ألفت بهاتفها النقال في علبة صغيرة و أغلقت عليه و لم تعد تشغله و تتواصل مع محيطها مثلما كانت تفعل"<sup>3</sup>، فهذا الإغلاق يعد هروبا من الواقع و الذي يعبر عن الذات التي تبحث عن نفسها في مكان آخر تلجأ إليه، ف" الإنسان قد يشعر برغبة في الهروب من كل شيء حتى من نفسه، وهذا هو المقصود من الهروب في علم النفس، ولكن عادة يكون الهروب من الواقع له علاقة بكثرة الصدمات التي يتعرض له الشخص في حياته"<sup>4</sup>، وثقافة الهروب من الواقع و البحث عن الشيء الذي يملأ الفراغ، ذلك ما تجلى في المتن الحكائي الذي يذكر لنا أولا محاولة هروب نسيمة باغلاقها الباب على نفسها واستماعها للموسيقى: "وتستمع لموسيقى كلاسيكية حزينة"<sup>5</sup>

ثم تغيّر لها و لجونها المفاجئ إلى الدّين: "صعدت إليها بسرعة. دققت مرتين على باب غرفتها. فتحت الباب. دخلت. اندهشت و أنا أشاهدها ساجدة، محجبة، ترفع يديها بالدعاء، رأسها مشرّبة نحو السماء"<sup>6</sup>. ومن خلال تسلسل الأحداث المحكية، يربط السارد تلك التغيرات التي طرأت على الذات الأنثوية بمراحل عدة، و يجمعها لعله يريد بذلك تفسير العوامل الثقافية والاجتماعية والنفسية.

<sup>1</sup> أحمد مروان : المجتمعات العربية تنذب المرأة العقيمة و تتقبل الرجل العاقر، صحيفة العرب ، 08 أبريل 2018، استشير

يوم 13 ماي 2023 رابط الموقع: <https://alarab.news/?amp>

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 22.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>4</sup> سارة سمير: "أسباب الهروب من الواقع"، المرسال، 07 ديسمبر 2022 على الساعة 9:28، استشير يوم 13 ماي

2023 على الساعة 14:30، رابط الموقع : <https://www.almrsal.com/post/913008>

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 25.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 27.

ويذكر إبراهيم في المحكي السردى صرامة زوجته التي تحجبت ووجدت خلاصها في الخالق واسترجعت ثقتها في نفسها " (كل شيء منه، فهو الخلاص القادر على كل شيء ) " <sup>1</sup>، وتقوّت في نفسها وعرفت التّحول المفاجئ في ذاتها، ولعلّ ما يريده السارد إفهامه هو حالة المرأة المنبوذة التي راحت ضحية المجتمع، والتي تعرّضت للكثير من الحركات والتّوجهات والأصوات وخضعت للكثير من التّجارب في ذاتها، وتسرّبت من خلالها أفكار أوصلتها إلى تلك الحالة من التّعصّب الذاتى، الذي هو " وسيلة للدّفاع عن النفس، وهو أوهام تبعث للشّعور بالأمان وتزويده بالطّمأنينة.. واعتقاداً بوجود خطر خارجي، فبدلاً من انتظاره ومواجهته، يعجل بالهجوم عليه وإنهائه" <sup>2</sup>، ولعل السارد يريد تفسير النتائج التي وصلت إليها تلك العوامل التي ساهمت في التّأثير على الوجه الأنثوي، وتلك الصورة نموذجاً يدفعنا من خلالها إلى تصور تلك الذات التي شكّلتها مزيج من التّجارب والوقائع والأفكار الثقافية والأيدولوجية.

كما يشير السارد إلى حالة نسيمة على أنها ذات غارقة وخاضعة للتّطرّف: "غرقت زوجتي في مزيد من التّطرّف باسم العودة إلى الأصول" <sup>3</sup>، كأن هذا المقطع يخبرنا عن ردة فعل المرأة الضائعة التي فقدت ذاتها وقتلتها الظروف، فتكون باردة اتجاه غيرها: "فردت ببرود" <sup>4</sup>، فالبرود يرمز للموت والفشل وغياب حيوية التفاعل، و تبتعد عن الواقع، وتغوص في أعماق الأيدولوجيا المتطرّفة، التي تتخذ العودة إلى الأصول كشعار لها.

و ينتقل السارد في محكيه السردى إلى قصّة فتاة أخرى، أراد أن يشير بذلك إلى نظرة البعض إلى المرأة على أنها جسد، فأراد أن يصور لنا ذات المرأة المغتصبة التي هربت مقهورة من قريتها بحثاً عن الأمن تاركة كل شيء: " جاءت المدينة منذ سنتين. فرت من قرية محاذية، وهي في الثانية والعشرين. تركت دراستها الجامعية، ورسالة تخرج كانت تحضرها حول روائي يدعى (مصطفى حمدان)" <sup>5</sup>، فالسارد هنا يدفعنا إلى أن نتخيّل حالة المرأة التي أصابها شيء من التشتت.

<sup>1</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 27 .

<sup>2</sup> د. أسعد الامارة: " النداءات النفسية و الاجتماعية لظاهرة التعصب "، شبكة النبا المعلوماتية، 31 جانفي 2019، استشير يوم 13 ماي 2023 على الساعة 16، رابط الموقع :

<https://annabaa.org/arabic/annabaamagazine/18123>

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 32.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 33.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 48.

ينقل لنا السارد النظرة السلبية الموجهة إلى المرأة التي تم تغييبها كذات والنظر إليها كجسد يلبي شهوات الرجل ، وعانت من "نظرة الآخر إليها التي جعلتها مهمشة، محتقرة تعيش الذل والمهانة، هذه النظرة التي إعتبرتها جسدا له دور في تلبية شهوات الرجل متعلق بالجنس"<sup>1</sup>، وهذا ما عبر عنه السارد من خلال نقله لكلام صديقه سوكا التي التقى بها في بار الفندق: "أخبرتني أن أتباع الداعية النحيف قتلوا أهلها جميعا، و حاولوا نقلها إلى الجبل لأمير دموي ((يدعى أبو يوسف))، يهوى فض بكارة فتيات يافعات"<sup>2</sup>، فمن خلال هذا المقطع يصور لنا السارد تلك النظرة الناتجة عن ضلالات استقاها البعض وعمل بها لاشباع رغباتهم باسم الدين والتطرف.

يذكر السارد النظرة التي يوجهها المجتمع إلى المرأة المغتصبة التي رغم محاولتها لاستعادتها لذاتها، و البدء من جديد إلا أنها سلبية جراء ماضيها الذي يلاحقها، و"ينظر المجتمع العربي بشكل عام إلى المرأة المغتصبة بطريقة سلبية، بل تلاحقها نظرات ازدراء وخوف كأنها السبب في حصولها على هذا اللقب المؤلم لها ولكرامتها"<sup>3</sup>، فنجد إبراهيم يقول: "كنت أنسى فيها أنها... (عاهرة)"<sup>4</sup>، فنظرت كانت من هذا المنطلق الذي أدرج المرأة المغتصبة في قائمة العاهرات، و السارد ذكر المقطع الحوارية والطريقة التي رد بها على طلب سوكا قائلاً: "مستحيل ! . مستحيل ! خرجت هذه الكلمة هكذا من دون أن أشعر"<sup>5</sup>، لعل تلقائية جوابه نابع من الأفكار المسبقة أو من اللاشعور أو الثقافة التي تحتقر هذه الفئة من النساء وتضعها في الهامش، التي رغم نيتها في التغير و التسرر، فتلك النظرة شكلت عائقا أمام الذات الأنثوية.

فمن خلال النظرة التي بناها السارد في خطابه عن الأنثى العربية، يتبين الصراع الذي تمر به المرأة ضد ذاتها، التي تعذبها وتخلق فيها ذلك الإحساس بالضعف، وضد الفكر السلبي الخاطئ والمحصور الذي يحمله المجتمع عن المرأة، لذا فصورة "الغير" عند المرأة كنفيس للرجل كانت متعددة التمثيل، تحاول أن تعري الشرح الاجتماعي داخل كيان ثنائية الرجل و المرأة .

<sup>1</sup> فائزة إسعد زرهوني : "الهوية الأنثوية بين الذات و الجسد : دراسة تحليلية لواقع المرأة بين نظرة الآخر إليها كجسد و نظرتها لنفسها كذات"، استشير يوم 13 ماي 2023 على الساعة 17 ، رابط الموقع:

Algerian Scientific Journal Platform <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/100890>

<sup>2</sup> حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، ص 48.

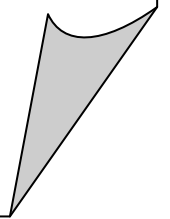
<sup>3</sup> مروى عبد الرزاق: " المرأة المغتصبة بين قانون لا يحميها و و مجتمع ينعتها باللعهر"، موقع الجزيرة، 11 سبتمبر 2019، استشير يوم 13 ماي 2023 على الساعة 18، رابط الموقع

<https://www.aljazeera.net/blogs/2019/9/11/المراة-المغتصبة-بين-قانون-لا-يحميها/>

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص55.

<sup>5</sup> نفس المصدر ، نفس الصفحة .

الخاتمة



لقد خلصنا ونحن ننجز هذه المذكرة إلى مجموعة من النتائج نختزلها في هذه النقاط:

- إعتبار الكتابة واحدة من أبرز الهموم التي أشار إليها حميد عبد القادر في نصه الروائي، والكاتب الحقيقي حسب الرواية هو من تمثل تجربة الإلتزام بمختلف قضايا المجتمع.

- إعادة رسم صورة جديدة للجزائر من خلال فتح ملف الهوية الوطنية والحديث عن أزمة الهوية في الجزائر وذكر أسباب نشوء هذه الأزمة، حيث أراد حميد عبد القادر التأكيد على أنّ الهوية الجزائرية ليست صافية وأن الجزائر تنتمي لوطن الحضارات المتعددة.

- توظيف التاريخ في الرواية بهدف تعريته والكشف عن الحقائق المطموسة من قبل النظام الحاكم الذي عمد لوضع تاريخ جديد مختلف تماما عن التاريخ الفعلي للوطن.

- إستحضار السارد لموضوع الثورة الجزائرية بهدف نزع نظرة التقديس التي كان ينظر إليها، وجعلها موضوع يمكن معالجته والحديث عنه بكل موضوعية بعيدا عن التمجيد، ومراجعة بعض الأحداث.

- تناول الرواية لمختلف الهموم المتعلقة بالذات والآخر منها السياسية والاجتماعية وكذا الإيديولوجية، ومن خلال الحديث عن الفئات المقهورة والمهمشة في المجتمع الجزائري، وفضح ممارسات السلطة القمعية وجرائمها بحق أبناء الوطن، وسرد صراع الإيديولوجيات المختلفة، والتي كانت سببا للعديد من المآسي التي حلت بالجزائر خلال مراحل مختلفة، خاصة العشرية السوداء.

- معالجة السارد لانسق الاستعمار في نصه الروائي، وحرصه على الكشف عنه وتفكيكه تفكيكا سرديا بفضح بعض ثغراته.

- مركزية نسق الثورة على اعتباره نسقا مهما، سعت الرواية لتفكيكه، من خلال اللجوء لفتح ملفات حساسة كملف العملاء أو الخونة، ووصول بعض الشخصيات لهم السلطة رغم عدم مشاركتها في الحرب الوطنية، بالإضافة لتوظيف خطاب الثورة وشعاراتها كذريعة لمواجهة الآخر، الذي يحمل رأيا مختلفا من خلال تخوينه واتهامه بالولاء للاستعمار.

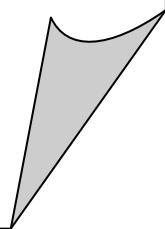
- تفكيك نسق السلطة، التي هي من المركزية التي سعى الأدباء إلى تفكيكها من خلال توجيه انتقادات لسياساتها، وفضح جرائمها وممارساتها القمعية.

- معالجة الرواية لهمّ التعايش الديني والصعوبات التي تواجه تحقيق التعايش بين مختلف الأديان في وطن لا يؤمن إلا بالأحادية ويحلم بخلق وطن صاف لا يقبل الاختلاف.

- تفكيك نسق الأنوثة من المواضيع التي اهتم الأدباء المعاصرين في معالجتها لكونها تمثل الآخر ولها تأثير قوي على الذات، والكتابة عن المرأة غالبا ما تكون ذات طابع أيديولوجي خاصة في المجتمعات العربية، وقد حاول السارد تفكيك نسق الأنوثة ممثلة في صورة المرأة الغربية، وكذلك صورة المرأة العربية.

- لقد حاولنا ونحن ننجز هذه المذكرة أن نستأنس ببعض جهود الدارسين الثقافيين، لكننا لم نتمكن من تمثلها تمثلا معرفيا صحيحا "فكلّ شيء إذا ما تم نقصان".

# قائمة المصادر والمراجع



## المصادر:

### (1) المصادر الأدبية:

- حميد عبد القادر: رواية رجل في الخمسين، منشورات البرزخ، د ط، الجزائر، 2019

### (2) الموسوعات:

- الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي: صبح الأغشى، دار الكتب المصرية، الجزء الأول، القاهرة، 1966

### (3) المعاجم والقواميس:

- أحمد رضا العامي: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، ج 5.

- جبران مسعود: معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، ط 7، 1992.

- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منصور: لسان العرب، ج 1، مادة (أنن)، تح: خالد رشد قاضي، دار صبح اديسوفت، بيروت، لبنان، ط 1، 1955.

- لويس معلوف وآخرون: المجلد في اللغة والاعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط 19، 2000، مج 1.

- محمود يعقوبي: معجم الفلسفة، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1998.

## المراجع:

### (1) الكتب:

- حسني عبد الباري عصر: الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، الاسكندرية للكتاب، د ط، مصر، 2005.

- حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغني، منشورات مخبر تحليل الخطاب ودار الأمل، جامعة مولود معمري بتزي وزو، الجزائر، 2012.

- سميرة عبده: المرأة العربية بين التحرر والتخلف، دار الأفق الجديدة، ط 1، بيروت، 1980.

- راشد المبارك: التطرف خبر عالمي، دار القلم، ط 1، دمشق، 2006.

-عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980.

- عبد الله محمد كامل عبد الغني: صوت المهمشين ورؤيا العالم في رواية دفاتر الوراق لجلال برجس، المجلة العلمية، كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنين بدمياط الجديدة، العدد10، 2022.

- محمد بو عزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية الى سياسات الاختلاف، دار الأمل، ط1، الرباط، 2014.

- يوسف علميات: النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، علم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2019.

## (2) أطروحات جامعية:

- حاتم زيدان: الذات والآخر في الخطاب السردي، دراسة لأزمة الهوية في أعمال أمين معلوف السياسية والروائية كتاب الهويات القاتلة ورواية التائهون أنموذجين، مخطوط أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في اللغة والأدب العربي، جامعة قصدي مرباح-ورقلة- 2021.

## (3) الدوريات والمجلات:

- أحمد عادل غازي محمود: " جماليات الميتاسرد في فنون ما بعد الحداثة "، بحوث في التربية الفنية والفنون، المجلد (21)، العدد 1، كلية التربية الفنية – جامعة حلوان، 2020.

- آمنة بلعلی: " استنطاق الهامش واعادة انتاج التاريخ السياسي"، مجلة مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري بتزي وزو، العدد24، 2017.

- " زحام الأنساق في رواية أنا وحاييم للحبيب السايح"، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري بتزي وزو، ط1، الجزائر، 2019.

- بن عميرة زوينة: " نسق الأنا والآخر وتمثيلاته في رواية عزازيل ليوسف زيدان"، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري بتزي وزو، ط1، الجزائر، 2019.

- سعاد بولحواش: " الأنساق الثقافية في رواية "يوميات في بلاد القبائل لمولود فرعون" منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري بتزي وزو، ط1، الجزائر، 2019.

- د- علاوة كوسة: " تجليات المضمرة التاريخي في الرواية العربية رواية جهاد ناعم لمحمد عيسى المؤدب – أنموذجا-"، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري بتزي وزو، ط1، الجزائر، 2019.

-علي بن عبد العزيز علي الشبل:"الجذور التاريخية لحقيقة العلو والتطرف والارهاب والعنف"، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د ط، المملكة السعودية، 26 أكتوبر 2013.

- عمر بن بوحليدة: " الحداثة واستبعاد الآخر" دراسة أركيولوجية في جدل العقلانية والجنون، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، ط1، الجزائر، 2013.

- مكي حسون: " اللغة الواصفة في رواية البحث عن وليد مسعود لجبرا ابراهيم جبرا"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد30، جامعة القادسية كلية التقنيات الإحيائية | جامعة بابل، 2016.

- نور الدين بن نعيجة: " الرواية الجزائرية والثورة >> اللاز >> و زمن الثورة على قداسة الثورة"، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، فعاليات اليوم الدراسي صدى الثورة في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر، المنعقد بتاريخ: 4 \12 \2018 بقسم اللغة والأدب العربي، كلية الأدب واللغات، جامعة عمار ثلجي –الأغواط-، الجزائر.

#### (4) الجرائد والصحف:

- ابتسام يوسف الطاهر: " مفهوم الهوية و أنواعها"، مؤسسة الحوار الإنساني، يناير 23، 2013، لندن.

-أحمد مروان: " المجتمعات العربية تنبذ المرأة العقيمة وتقبل الرجل العاقر"، صحيفة العرب، 23 ماي 2023.

- طارق بوحالة: " النسق الثقافي"، صحيفة رأي اليوم، 5 أبريل 2022.

- عبد الرزاق بوكبة: " توابل المدينة"... الثورة الجزائرية من الداخل، قناة الجزيرة، 12 \2013.

- علي ياحي: " الحساسية التي ارتفعت حدتها بين العرب والأمازيغ وهمية تغذيها فرنسا"، صحيفة أندبندنت عربية، الإثنين 18 نوفمبر 2019.

- وضحي بن سيف الجهوري: " المرأة في كتابات عدد من المفكرين"، قناة الحوار المتمدن، 2010\5\8، لندن.

## (5) المواقع الالكترونية:

- العائش التركي: " مستقبل الجزائر بين صراع الهوية والعقد التاريخية"، 2019\07\11 تم الإطلاع: مارس 2023، 14:30.

رابط الموقع: [https:// www.inonpost.com](https://www.inonpost.com)

- أسعد الأمانة: "التداعيات النفسية والاجتماعية لظاهرة التعصب"، شبكة النبا المعلوماتية، 31 جانفي 2019 أستشير يوم 13 ماي 2023 على الساعة 16:00 على الرابط: <https://annabaa.org/arabic//annabaamagazine/18123>

-سارة سمير: " أسباب الهروب من الواقع"، المرسال، 07ديسمبر 2022 على الساعة 9:28 أستشير يوم: 13 ماي 2023 على الساعة 14:30 على الرابط: <https://www.almrsal.com/post/913008>

- علي مبارك: " التطرف الديني من منظور ثقافي"، الموقع الإلكتروني لمؤسسة مؤمن بلا حدود للدراسات والأبحاث، 25 مارس 2015 أستشير يوم 01 ماي 2023 على الساعة 10:00 على الرابط: <https://www.mominon.com/article/2624>

-فايزة أسعد زرهوني: " الهوية الأنثوية بين الذات والجسد " دراسة تحليلية لواقع المرأة بين نظرة الآخر إليها كجسد ونظرتها لنفسها كذات، ALGRIAN SCINTIFIC JOURNAL PLATFORM أستشير يوم 13 ماي 2023 على الساعة 17:00 على الرابط: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/100890>

-ليلي جيريل: " ما هو تعريف العنصرية"، الموقع التعليمي الشامل ملزمتي، 30 ديسمبر 2021، أستشير يوم 01 ماي 2023 على الساعة 11:39 على الرابط: <https://www.mizamty.com/definition-racism>

- مروى عبد الرزاق: " المرأة المغتصبة بين قانون لا يحميها ومجتمع ينعته بالعهر"، موقع الجزيرة، 11 سبتمبر 2019 أستاذية يوم 13 ماي 2023 على الساعة 18:00 على

الرابط: [https://www.algazeera.net/bloges/2019/09/11/المرأة المغتصبة بسبب قانون لا يحميها](https://www.algazeera.net/bloges/2019/09/11/المرأة%20المغتصبة%20بسبب%20قانون%20لا%20يحميها)

- موسوعة معرفة: "التميز العنصري السياسي"، أستاذية يوم 06 ماي 2023 الساعة 16:00 على الرابط:

<https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%B9%D9%86%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%85%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D9%82%D9%8A%D8%A9>

- موسوعة معرفة: "العنصرية"، أستاذية يوم 06 ماي 2023 الساعة 13:43 على الرابط:

<https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%B9%D9%86%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9>

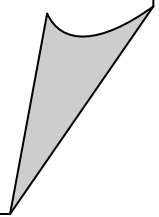
- موسوعة معرفة: " عنصرية دينية"، أستاذية يوم 06 ماي 2023 على الساعة 15:28 على الرابط:

<https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%B9%D9%86%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9>

- هديل تيسير شواربي: " ما هو مفهوم التميز العنصري"، الموقع العربي موضوع, 26 أبريل 2022، أستاذية يوم 01 ماي 2023 الساعة 12:55 على الرابط:

[https://mawdoo3.com/مفهوم التميز العنصري](https://mawdoo3.com/مفهوم%20التميز%20العنصري)

# فهرس المحتويات



المقدمة (1...4).

الفصل الأول: هموم الذات المسرودة في محكي الرواية ( 5...35).

- المبحث الأول: همّ الكتابة ( 6...15).

- المبحث الثاني: همّ الهوية ( 16...25).

- المبحث الثالث: همّ الاجتماعي، والسياسي، والايديولوجي ( 26...35).

الفصل الثاني: تفكيك الأنساق الثقافية للغيرية (36...63).

- المبحث الأول: تفكيك نسق المركزيات ( 37...46).

- المبحث الثاني: تفكيك نسق همّ التعايش ( 47...55).

- المبحث الثالث: تفكيك نسق الأنوثة الغيرية ( 56...63).

الخاتمة ( 64...66 ).

قائمة المصادر والمراجع ( 67...72).

فهرس المحتويات(73...74)

الملحق:(75...78)

الملحق

## ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية حول رجل في الخمسين من عمره يدعى "إبراهيم"، وهو مواطن جزائري يستذكر مجموعة من الأحداث السعيدة وكذلك المرّة التي عاشها خلال حياته. وهو يبحر باتجاه مدينة مرسيليا الفرنسية على متن باخرة "طارق ابن زياد" المنطلقة من ميناء الجزائر.

يروى بطل الرواية أبرز المحطات التي انعكست على ذاته والهموم التي غيرت مصيره انطلاقاً من قصة عشقه لأميرة أنوار التي إتقى بها وهو طالب في فرنسا، والتي سيضطر لقطع علاقته معها لكونه يقرر العودة للوطن حتى يحقق حلمه بأن يصبح كاتباً معروفاً بعد أن عجز عن ذلك في أرض الغربية وبعد عودة إبراهيم إلى أرض الوطن يجد الأوضاع مزرية للغاية حيث انتشرت الفوضى وكثرة الإغتيالات، والفقر، والتخلف. إلا أنه أبقى الاستسلام وقرر البقاء والصمود في وجه دوامة العنف والتحديات القاسية التي ستأتي من جماعات متطرفة لا تعرف معنى الرحمة.

بعد قصة العشق التي انتهت بالفراق يجد البطل نفسه أمام زواج حكم عليه بالفشل، حيث تآزمت تلك العلاقة بسبب عدم قدرة الزوجة على الإنجاب، ما تسبب لها بأزمة نفسية حادة، وحزن شديد جعلها تقرر عزل نفسها وقطع علاقتها بالعالم الخارجي، قبل أن تقرر فيما بعد أن تصبح متديّنة فترتدي الحجاب ثم الجلباب. لم يعترض إبراهيم على قرار زوجته المفاجئ ولكن بدأت الأوضاع تخرج عن السيطرة بسبب جنوح الزوجة نحو التشدد، فقامت برمي اللوحات الفنية الموجودة في المنزل كما تخلّصت من التماثيل بحجة أنّها شرك بالله، بل وصل الأمر إلى حد منع زوجها من لمسها لكونه لا يصلي ويتعاطى الكحول. الأمر الذي سينتهي بالطلاق، ليجد البطل نفسه منغمساً في الآفات الاجتماعية ظناً منه أنّ ذلك سيساعده في نسيان مشاكله ولكنّه سرعان ما يشعر بالملل ويسأم من تلك الوضعية التي وصل إليها، ليتخذ قرار العودة إلى فرنسا من جديد والبحث عن أميرة أنوار وإستعادة الحب الذي ضيعه

خلال رحلة العودة يقوم البطل بسرد قصة حياته وحياة من عرفهم منذ الطفولة ومصيرهم مبرزاً أهم المحطات التاريخية المتعلقة بالجزائر، وهموم الفرد وأحلامه التي حكم عليها بالفشل فوجدوا من الهجرة والهروب من الوطن الأمل الوحيد للنجاة بأنفسهم، والبحث عن السلام.

## نبذة حول المؤلف:

ولد الأديب الجزائري حميد عبد القادر عام 1967، في عين البنيان غرب العاصمة، وهو خريج معهد الإعلام والعلوم السياسية جامعة الجزائر وهو حاليا صحفي وأستاذ مدرس في نفس الكلية، عمل في الإعلام والصحافة منذ نهاية الثمانينات كرئيس الركن الثقافي ليومية جريدة الخبر الجزائرية، نال جائزة " الخبر " الدولية "عمر أورتيلان" لحرية الصحافة، بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة.

## مؤلفاته الروائية:

- الإنزلاق.
- مرايا الخوف.
- حكايات مقهى ملاكوف.
- توابل المدينة.
- أسفار الزمن البهي.
- رجل في الخمسين.

## ملخص المذكرة:

تهدف هذه المذكرة إلى دراسة مختلف الهموم المتعلقة بالذات وكذلك البحث في القضايا الشائكة عند الآخر في رواية رجل في الخمسين للكاتب الجزائري حميد عبد القادر، وذلك بالإعتماد على الدراسات الثقافية التي تسمح لنا في النبش داخل الرواية قصد تعرية الحقائق المظلمة والمتوارية خلف جمالية النص، فقمنا في الفصل الأول بمعالجة مختلف الهموم المتعلقة بالذات داخل المحكي السردي للرواية فعالجنا قضية الكتابة والهموم المرتبطة بها إلى جانب همّ الهوية وخطورتها على المجتمع الجزائري، كما تحدثت المذكرة عن همّ السياسي والإجتماعي والإيديولوجي، وفي الفصل الثاني قامت المذكرة بتفكيك الأنساق الثقافية للغيرية من خلال معرفة كيف تشكل الغير كنسق ثقافي وكيف حاول السارد تفكيكه ومن أهم تلك الأنساق التي عالجتها مذكرتنا نذكر نسق المركزية كالسلطة والثورة والاستعمار، وفككنا نسق همّ التعايش وقمنا بتفكيك صورة نسق الأنوثة الغيري

نعم بإذن الله  
نعم بإذن الله